قطوف من

السيرة

والشمائل النبوية

إعداد

أحمد بن حسن كرزون

m

الحمد لله الذي أكرم أمتنا الإسلامية برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة للعالمين e التي أخرج بها الناس من ظلمات الضلالة والجهالة إلى نور الإيمان والمعرفة، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على إمام المتقين والأسوة الحسنة للمؤمنين، ورضي الله تعالى عن آله الأخيار وأصحابه الأبرار ومن اهتدى بهديه واقتدى بسيرته إلى يوم الدين وبعد: فإن من أعظم خصائص الرسالة الإلهية الخالدة أنها انفردت برسم طريق الحق والخير للإنسانية وأرشدتها لبلوغ مواطن الصلاح والفلاح في أحكامها الشاملة ومتطلبات حياتها الآمنة عالجت بها شتى جوانب الحياة وأكملت لها النعمة في حفظ الدين بالتقوى والهداية وفي وقاية العقل بالعلم والحكمة وفي سلامة البدن بالرعاية والوقاية وفي ضبط النسل بالزواج والذرية الطيبة وفي صيانة المال بأخذه من الحلال والبعد عن الحرام بما حقق للإنسانية في كل زمان ومكان سعادتها الدنيوية وفوزها بنعيم الآخرة، وقد أشاد القرآن الكريم برسالة الإسلام الشاملة وفضائلها بالهداية والرحمة في قوله تبارك وتعالى: [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ][1]، كما أعلن القرآن الكريم عن عظيم فضل الله تعالى في إكمال الدين وشمول أحكامه في قوله تعالى: [ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا][2].

وعندما سمع أحد علماء اليهود هذه الآية الكريمة أبدى إعجابه الشديد بفضائلها العظيمة التي أكرم بها الأمة الإسلامية، فقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t أن رجلاً من اليهود قال له: (يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟، قال: [ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي e وهو قائم بعرفة يوم جمعة)[3]، لذا وجب على الأمة الإسلامية علماءَ ومتعلمين ورجالاً ونساءً وقادةً وشعوباً أن يعتزوا برسالة نبي الهدى والرحمة e ويَعتنُوا بدراسة سيرته النبوية تعلماً وتعليماً للتعرف على فضائلها وشمائلها للإقتداء بهديها المنير واتباع مسلكها

(١) سورة النحل: ٨٩ .

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان رقم ٤٥ .

القويم والعمل على تحكيم شرع الله المبين لتحافظ على دورها الحضاري ومكانتها المتميزة التي أكرمها الله بها في الثناء عليها في قوله U : [كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ][٤] ولتكون الأمة في حاضرها ومستقبلها قادرة على مواجهة التحديات المعادية ودحض الافتراءات الحاقدة والرد على حملات الدعاية المضللة ضد نبي الهداية والرحمة والرسالة الإسلامية الخالدة بوعي إيماني ونضج فكري وقناعة شخصية.

وقد رأيت من الواجب إعداد هذا الكتاب التربوي الذي احتوى على قبسات مضيئة من السيرة النبوية الشريفة ضمن ثلاثين حصة دراسية لتسهيل تعلمها والانتفاع بمعانيها من قبل الناشئة من طلاب العلم المشاركين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم والدورات التعليمية الصيفية وفي مجالس الوعظ والإرشاد.

سائلاً المولى الرحمن الرحيم أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به شباب الأمة الإسلامية في الإقتداء بالأسوة الحسنة الهادي إلى صراط الله المستقيم، إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعـــداد

أحمد بن حسن كرزون

(٤) سورة آل عمران: ١١٠.

المبحث الأول

نسبه الشريف وأسرته الفاضلة

شرف النسب: عن وائلة بن الأسقع t قال سمعت رسول الله e يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من هاشم)[٥].

معاني أسماء الرسول: عن أبي موسى الأشعري قال: (كان رسول الله e يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة)[٦]....

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد جاء الاختيار الإلهي الكريم من الحكيم العليم U لإمام الأنبياء والمرسلين وخاتمهم بعد رعاية شاملة منه لاستكمال شروط التكليف للنبوة من أشرف القبائل العربية وأعظمهم رفعة حيث يتصل نسبه الشريف بعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فجاء كما وثقه علماء السيرة النبوية من جهة أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كما يرجع نسبه الطاهر من أمه آمنة بنت وهب الزهرية وكانت مرضعته حليمة السعدية من بني سعد بن بكر تلقَّى فيها سلامة النطق وصفاء الذهن؛ وبذلك حاز الرسول الأمين والبشير النذير والسراج المنير e المقام الأسمى بين قومه فكان في منعة من قومه وادعى لتصديقه وقبول دعوته.

ثانياً: لقد ولد الرسول الهادي e يوم الاثنين من شهر ربيع الأول عام الفيل، ورزقه الله تعالى ثلاثة من الأولاد الذكور وهم: القاسم وعبد الله وإبراهيم t ، كما رزقه المولى الكريم تبارك وتعالى أربعاً من الإناث وهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله تعالى عنهن.

ثالثاً: وتزوج الرسول الهادي e طيلة حياته بإحدى عشرة من الزوجات الطاهرات وهن: خديجة وسودة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة وجويرية وصفية

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (١٥/ ٢٦) .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (١٥/ ١٠٤)، ومعنى المقفي: المتبع للأنبياء، نبي التوبة ونبي الرحمة: أي جاء بالتوبة والتراحم ...

وعائشة.

وقد يتساءل المسلم ما هو سبب هذا التعدد الذي يصوره أعداء الإسلام أنه كان بدوافع شهوانية متجاهلين دواعي هذا التعدد محاولين تزييف الحقائق، وليعلم كل مسلم من خلال دراسة سيرة نبينا الهادي ذي الخلق العظيم e أن ريعان شبابه قد قضاه دون زواج بكل طهارة وحشمة وفضيلة حتى تزوج بالسيدة خديجة وعمره خمس وعشرون عاماً وعمرها أربعون عاماً، وقد مكثت تحت عصمته زوجةً وحيدةً ستاً وعشرين عاماً حتى ماتت رضي الله عنها فتزوج بعدها وهو في سن الواحد والخمسين سودة بنت زمعة المرأة المسنة رضي الله عنها بعد أن توفي عنها زوجها فمكثت عنده ثلاث سنوات، ولما بلغ سن الشيخوخة الرابعة والخمسين من عمره المبارك وهو يقتصر على الزوجة الواحدة، ثم بدأ بتعدد الزوجات لظروف الحروب القاسية ولرغبته في مصاهرة القبائل ولتكريم الأيتام والأرامل ممن استشهد آباؤهن أو أزواجهن في قتال الأعداء.

تلك هي الحقائق الناصعة والوقائع الواضحة التي تكشف مزاعم الأعداء وترد كيدهم وتدحض افتراءاتهم.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. يدعو شرف النسب وطهارة المنبت إلى ثقة الناس بالدعوة وسرعة التصديق بها ومؤازرة قائدها وإظهار المحبة له.

٢. كما يؤكد شرف النسب والحسب في قيادة الدعوة بين القوم على بطلان الاتهامات والبعد عن التطاولات واجتناب مواقف الازدراء بالدعوة وقائدها.

٣. ولأهمية شرف النسب وعظيم فضله تساءل هرقل بعد أن وصلته رسالة النبي e فقال لأبي سفيان وكان مشركاً: كيف نسبه فيكم! فأجابه: هو من كرام القوم وأرفعهم نسباً فقال: وكذلك كان نسب الأنبياء من قبل؛ كما شهد جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي في قوله: (حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه).

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء وللناشئة:

كلما كان العالم والداعية من أسرة فضل وعلم وتضحية في سبيل الدعوة أظهر الناس له الثقة به والتفوا حوله وحرصوا على الانتفاع منه.

على كل عالم وداعية أن يؤهل ذريته التأهيل العلمي الشرعي فيكتسب بذلك السمعة الطيبة والسيرة الحسنة وفضل الدعوات الصالحات والأجر والمثوبة من العليم الرحيم **U** ويخدم بذلك الأجيال المقبلة في استمرار الدعوة التعليم.

لا قيمة لشرف النسب عند الله وعند الناس إذا لم يقترن بالإيمان والعمل الصالح والنصح لكل مسلم والبعد عن مسلك الضلال والفساد وهو ما أعلنه القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: **[** وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ **]** (٧).

**** أسئلة الدرس:**

١. ما هو أثر النسب الشريف في دعوة الرسول الأمين ؟

٢. لماذا لم ينتفع أبو طالب عم النبي وكفيله والمدافع عنه من نسبه ؟

٣. ما سبب نزول سورة المسد بحق عم النبي أبي لهب وزوجته ؟

(٧) سورة العصر .

المبحث الثاني

التذكير بعظمة قدرة الله في بديع صنعه

عظمة الخالق في خلق الإنسان: عن عبد الله بن مسعود t قال: حدثنا رسول الله e وهو الصادق المصدوق قال: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: أكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة)[٨].

عظمة الخالق في إنزال المطر: وعن زيد بن خالد الجهني t قال: (صلى بنا رسول الله e صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس وقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مُطِرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)[٩].

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: يهدف الهدي النبوي في إخباره عن كيفية نشأة الإنسان وتطوره في بطون الأمهات إلى تذكير المؤمنين والمؤمنات لعظيم قدرة الخالق U في بديع صنعه وعظيم فضله وشمول رعايته وتحديد الآجال والأرزاق وفق حكمته وإرادته في موعظة دعوية وأسلوب بليغ، أداءً لواجب التذكير الذي أمره به ربه في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة في قوله سبحانه وتعالى: [فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ][١٠].

ثانياً: يدعو هذا التذكير النبوي الرشيد في توضيحه لعظيم القدرة الإلهية في خلق الإنسان بأحسن تقويم وإنزال المطر من السحاب الذي يجري بين السماء والأرض إلى وجوب التفكير الواعي والنظر المتأمل في جميع الموجودات الكونية وآياته المشاهدة والملموسة في عوالم الأرض والسماء من إنسان وحيوان ونبات

(٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم (٣٠٣٦) .

(٩) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (٧٢) .

(١٠) سورة الغاشية: ٢١ـ٢٢ .

وجبال وأنهار وبحار وشمس وقمر وسحاب وكواكب وأمطار ليقوي بها إيمان المسلم ويزداد خشيةً من ربه المبدع الحكيم وتقدير النعم الواسعة التي أكرم بها عباده وسخرها لم وليسعى جاهداً لحسن عبادته بإخلاص ويتزود بالتقوى والأعمال الصالحة ليفوز بمرضاة ربه وينعم بجناته التي أعدت لعباده المؤمنين بأن يعلن قوله: [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ].

ثالثاً: كما يأتي أمر الله جل ثناؤه السميع العليم لملائكته الأبرار بتسجيل ما سبق علمه إليه من مسلك الإنسان طيلة حياته الدنيوية من خلال أعماله الإرادية الحرة وتصرفاته الشخصية دون إكراه ولا إجبار إما في طريق السعادة أو طريق الشقاوة لتكون محل حساب يوم القيامة العادل إما بالثواب الجزيل أو العقاب الأليم من قبل عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. لعل من أبرز المنافع وأفضل المواعظ في تحديد العليم الحكيم **U** للآجال وما تفرزه من ثمرات إيمانية وفوائد تربوية ما يبعثه هذا التحديد في نفوس المؤمنين من روح البذل والتضحية في سبيل الله والإقدام بكل شجاعة دون خوف من قتل أو موت مادام يعتقد أن الآجال محدودة بيد الخالق الكريم المحيي والمميت جل ثناؤه وأنه لن تموت نفس إلا بإذن الله، وهو ما أعلنه القرآن الكريم في قوله سبحانه: [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا][(١١)].

٢. ومن المواعظ الطيبة والفوائد المباركة في كفالة الرزاق ذي القوة المتين **U** لأرزاق عباده وتحديده لمقاديرها ما يوجب على المؤمنين اعتماد طلب الرزق على المنعم الكريم سبحانه وتعالى ممَّا يدعو إلى الشعور بعزة النفس وحفظ الكرامة وشكر المنعم عند توفر الأرزاق والقناعة في الرزق والصبر عند الافتار والزهد في متاع الدنيا، وهو ما أوضحه القرآن الكريم بقوله تبارك وتعالى: [ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ][(١٢)].

٣. ومن المواعظ الإيمانية والعبر الفاضلة في تسجيل الملائكة الأبرار بأمر من عالم الغيب والشهادة **U** للصورة العملية التي يسلكها الإنسان في طريق الخير والفضيلة أو بإتباع الأهواء وارتكاب الرذيلة فيكون من السعداء أو الأشقياء، حيث تنمو في نفسه مشاعر الخوف من يوم الحساب

(١١) سورة آل عمران: ١٤٥ .

(١٢) سورة الرعد: ٢٦ .

فيعمل جاهداً طيلة حياته لتوثيق صلته بالله في التقرب إليه بالطاعات والدعاء ليلهمه رشده ويوفقه للإقبال على الأعمال الصالحة لعله يفوز بحسن الخاتمة وتكريم الله له بجنات النعيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. من الواجب إتباع أسلوب التذكير بعظمة الخالق **U** والتفكير الدائم في مخلوقاته المتنوعة لأن ذلك من أفضل الأساليب الدعوية والمواعظ الإيمانية لما يحققه من المنافع العظيمة والهداية الخالصة والاستقامة السلوكية، وقد بشر القرآن الكريم بهذه الفضائل في قوله تبارك وتعالى: **[** وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ **]** (١٣).

٢. ومما ينبغي على كل مسلم ومسلمة أداؤه هو التفكير المتأمل في عظيم قدرة الله عند كل مشاهدة يقع نظره عليها أو يقلبها بين يديه من مأكولات أو مشروبات أو حيوانات أو جمادات أو أمثالها ليعلن بقلب خاشع ولسان ذاكر كلمة التوحيد وهو ما أرشد إليه القرآن الكريم في قوله **U**:

[يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ **]** (١٤).

٣. وليحذر كل مسلم ومسلمة من خطر الغفلة القلبية وجحود المنعم حين يشاهد مخلوقاته البديعة أو نعمه النافعة فلا يذكر فضل الخالق سبحانه وتعالى، وهو ما حذر منه القرآن الكريم في قوله **U**:

[وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**]** (١٥).

أسئلة الدرس:

١. اذكر فوائد التذكير بعظيم قدرة الله سبحانه ؟

٢. هل حاولت النظر في قدرة الله تعالى عندما تتناول فاكهة أو تركب دابة أو ترى طلوع الشمس أو القمر ؟

٣. ما هو شعورك الإيماني بعد هذا التفكير وإمعان النظر ؟

---

(١٣) سورة الذاريات: ٥٥ .

(١٤) سورة فاطر: ٣ .

(١٥) سورة يوسف: ١٠٥ .

المبحث الثالث

ميثاق النبيين

ميثاق الأنبياء: عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي اله عنهما قالا: (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حي لَيؤمننَّ به وينصرنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء لَيؤمننَّ به وينصرنَّه) (١٦).

قبول دعوات الأنبياء: عن العرباض بن سارية t قال: قال رسول الله e: (أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت) (١٧).

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: إنه لميثاق عظيم وعهد إلهي كريم أخذه رب العزة على جميع الأنبياء والرسل الأكارم تكريماً لخاتم الأنبياء والمرسلين وبياناً لفضل رسالته العالمية الخالدة بدعوتهم للإيمان به وتصديق دعوته الموافقة لما بين يديهم من الكتب السماوية إذا أدركوه وهو على قيد الحياة، وقد أقروا جميعاً هذا العهد الموثق وشهد بعضهم على بعض وكان الله U شهيداً عليماً، وهذا ما أعلنه القرآن الكريم في قوله U: [وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ] (١٨).

ثانياً: وقد شمل الالتزام بهذا الميثاق المؤكد جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم التابعة لهم من جميع الديانات السماوية، وقد ذكر ابن كثير يرحمه الله عند تفسيره لآية الميثاق قول ابن عباس رضي الله عنهما: (ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حي لَيؤمننَّ به وينصرنَّه، وأمروا أن يأخذوا الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء لَيؤمننَّ به ولينصرنَّه)، ثم أشاد ابن كثير بعد ذكر هذا الحديث بفضل الرسول e في قوله: (فالرسول محمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه

(١٦) من تفسير ابن كثير عند تفسيره لآية الميثاق في سورة آل عمران: ٨١ .

(١٧) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧) .

(١٨) سورة آل عمران: ٨١ .

عليه دائماً إلى يوم الدين، هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا في بيت المقدس، وهو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولوا العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه).

ثالثاً: يؤكد هذا الميثاق الإلهي على حقيقة أن رسالات جميع الأنبياء والمرسلين قبل بعثة النبي e هي رسالات خاصة بأممهم، وأما دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين هي دعوة عامة لجميع الأمم، قال جل ثناؤه: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ][19]، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (فُضلتُ على الأنبياء بستٍ: أعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلَّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وختُم بيَ النبيون)[20].

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. يبرز هذا الميثاق الإلهي العظيم لجميع الأمم في مختلف عصورها وبقاعها أن رسالات الأنبياء والمرسلين جاءت جميعها من عند الله ذي الجلال والإكرام بأهداف مشتركة ودعوة إيمان وهداية وبشرى للإنسانية بمزيد من الرعاية والتكريم والإقبال على الأعمال الصالحة التي تسوق إلى جنات النعيم مع التحذير الشديد من عواقب جحود نعم الله تعالى والانحراف في العقيدة بالشرك بالله الواحد الأحد جل ثناؤه قال تعالى: [وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ][21].

٢. لقد جاء هذا الميثاق المؤكد مؤكداً على عظيم فضل الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين ذي الخلق العظيم e وللتعريف بقدره ورسالته العامة ليتولى هؤلاء الأنبياء والمرسلين جميعاً مهمة الإيمان به وتصديق رسالته ودعوة أممهم لا تباع صراط الله المستقيم ودينه القويم ورحمة الله إلى

(١٩) سورة سبأ: ٢٨ .

(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٥) .

(٢١) سورة الأنعام: ٤٨ – ٤٩ .

لعالمين، وهو ما خاطب به المولى العليم الحكيم U نبيه الأمين e بقوله: [قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] (٢٢).

٣. يؤكد هذا الميثاق الإلهي المبارك في توجيهاته الإيمانية على إقامة الحجة على جميع الأمم في شتى الأزمان المختلفة والبقاع الشاسعة في وجوب الإسراع للتصديق برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين e والتخلي عن العقائد المنحرفة التي تجاهلت دعوات أنبيائهم واعتمدت على الكتب السماوية التي حرفوا فيها وبدلوا بعد انقطاع طويل من الرسل، ولهذا جاء خطاب المنعم الكريم جل وعلا لأهل الكتاب بعد انتشار الضلال والفساد في الأرض ممتناً عليهم بفضله وهدايته في قوله تبارك وتعالى:

[يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] (٢٣).

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب الاعتزاز بدين الله وشريعته العالمية الخالدة التي جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين e والسعي لتبني الدعوة الجادة إليه وتبليغه لجميع الأمم للفوز بهدايتهم ودخولهم بالإسلام.

٢. البعد عن الخمول والتقاعس في الدعوة الواعية لأصحاب الأديان السماوية خاصة وغيرهم من أصحاب المعتقدات الفاسدة، وعدم إظهار القنوط واليأس ونحن نرى ونسمع كل يوم العشرات منهم من يدخلون بالإسلام لمجرد إطلاعهم على عظمة هذا الدين وشريعته المثلى واستقامة صراطه الفاضل.

٣. مع الإقبال اليومي على تلاوة كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليتزودوا بالبيان القاطع والهداية العامة والبشرى للمؤمنين، كما قال تعالى: [طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ

(٢٢) سورة الأعراف: ١٥٨ .

(٢٣) سورة المائدة آية: ١٩ .

وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾] [٢٤].

أسئلة الدرس:

١. ما معنى ميثاق النبيين ؟

٢. ما مضمون هذا الميثاق ؟

٣. لمن شمل هذا الميثاق ؟ هل للأنبياء وحدهم ؟

(٢٤) سورة النمل: ١ – ٣ .

المبحث الرابع

الرسول الشاب مع بَحيرا الراهب

خروج أبي طالب مع ابن أخيه: قال ابن إسحاق: (خرج أبو طالب في ركب تاجراً إلى الشام ورقَّ لابن أخيه رسول الله e فقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً، فخرج معه وله من العمر اثنتا عشرة سنة، فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بَحيرا وهو في صومعته، وكان إليه علم النصرانية، فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً عن شيء رآه وهو في صومعته وغمامة تظله من بين القوم، فلما رأى ذلك نزل من صومعته ودعاهم إلى الطعام صغيرهم وكبيرهم، فقال رجل منهم، والله يا بَحيرا إن لك لشأناً اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا من قبل، فقال: صدقت ولكني أحببت أن أكرمكم وأضع لكم طعاماً فتأكلوا، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله e من بين القوم لحداثة سِنّه.

وصية بحيرا بالرسول: فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفُ ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامي، فقالوا ما تخلف عنك أحد إلا غلام لحداثة سنه، فقال: ادعوه فلْيحضر هذا الطعام معكم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، فكان يجد شيئاً في جسده، فلما فرغ القوم من الطعام قام إليه بُحيرا فقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما أقسم بحيرا باللات والعزى لأنه سمع من القوم يحلفون بها، فقال له رسول الله e لا تسألني باللات والعزى، فواللهِ ما أبغضت شيئاً قط بُغضهما، فتعجل بَحيرا يسأله عن حاله في قَومهِ وهيئته وأموره، فيخبره رسول الله e بها فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفتة، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفتة التي عنده؛ ثم أقبل بحيرا على عمه أبي طالب يسأله عن الغلام، فقال له: إنه ابني فقال له بَحيرا: ماهو بابنك وما ينبغي أن يكون أبوه حياً فقال له: إنه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه من يهود، فواللهِ لَئِن رأَوه وعرفوا منه ما عرفتُ لَيوقِعنَّ به شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده)[٢٥].

(٢٥) من السيرة النبوية لابن هشام (١ / ١٨٠) .

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: يؤكد حديث بَحيرا عند مشاهدته للغلام الصغير وهو ابن ثنتا عشرة سنة عند مطابقته للأوصاف المذكورة عنده أنه على علم ومعرفة جيدة بأخبار بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين e كما وردت في التوراة والإنجيل، وذلك بعد التأمل الدقيق في أوصافه ثم مشاهدته لخاتم النبوة على وسط كتفيه وفق ما يجده موصوفاً عنده، وسؤاله الرسول e عن حاله في نومه وهيئته فيوافق كذلك ما يجده مذكوراً في الكتب التي بين يديه.

ثانياً: لم يكتف الراهب بَحيرا من جمع هذه المعلومات عن صفات رسول الله e بل راح ليوجه سؤاله إلى عمه أبي طالب فينكر عليه قول أبي طالب إنه ابني لأنه يعرف أنه ينشأ يتيماً كما هو مذكور في الكتب التي عنده، فلما تأكد من مطابقته جمع المعلومات على أوصاف الرسول e وسيرة حياته ونشأته أوصى عندئذ عمَّه أبا طالب بالعودة السريعة إلى بلده خوفاً عليه من العدوان المحتمل من اليهود الحاقدين الذين سيتآمرون عليه ويكيدون له كل شر وغدر عندما يعرفون هذه الصفات التي تطابق ما لديهم وتأكدهم من أنه الرسول العربي المنتظر.

ثالثاً: لقد شملت الرعاية الإلهية لهذا الرسول الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين e منذ نشأته وطيلة مسيرة دعوته بعد أن أكرمه الله برسالة الإسلام الهادية، فهو يعلن أمام قومه وأمام الراهب بحيرا بكل جرأة وصراحه وحزم أنه يبغض الأوثان ويكرهها ويطلب عدم سؤاله باسم اللات والعزى، لأن الله جلت قدرته عصمه من الشرك والفتنة منذ صغره، فقد ذكر الحاكم والطبراني قول رسول الله e عن عصمته فقال: (ما هممت بشيءٍ ممَّا كانوا في الجاهلية يعملونه إلا مرتين: كل ذلك يحول الله بيني وبينه حيث قال مرَّة لغلام معه يرعى الغنم لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يَسمر الشباب فعندما وصلت أول دار بمكة سمعت عزفاً بمناسبة عرس فجلست أسمع، فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا حَّر الشمس، كما حدث في ليلة أخرى مثل ذلك فأصابني مثل أول ليلة فلما عدت حدثت بذلك صاحبي، ثم ما هممت بعده بسوء).

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. تدعم معرفة هذه الوقائع الثابتة الثقة في كل نفس مؤمنة بصدق بعثة الرسول الهادي e في مطابقة أوصافه لما هو مذكور في الكتب السماوية ولدى علمائها المخلصين.

٢. الحاجة ماسة للاستفادة من هذه الوقائع الثابتة في تبليغ الدعوة للمسلمين ولغير المسلمين لما تحقق من قناعة إيمانية واطمئنان نفسي.

٣. إذا أراد الله بالعبد خيراً صانه منذ نشأته من كل المكروهات وأبعده عن الفتن إذا عرف من توجهه الصادق في محبته لله ولرسوله ودعائه لنفسه بالهداية والصلاح وتأهيله لحمل رسالة الإسلام.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. الاعتناء بسيرة الرسول الهادي e ومعرفة هذه الوقائع لإبلاغها للآخرين في الدعوة إلى الله.

٢. السعي لتعليمها ونشرها في مختلف وسائل الإعلام المنظورة والمرئية والمسموعة كوسيلة هامة لتبليغ الدعوة.

٣. توثيق صلة العباد بربهم حتى يضمنوا لهم ولذرياتهم من بعدهم الهداية والاستقامة والفوز برضاة ربهم.

أسئلة الدرس:

١ــ من أين عرف الراهب بحيرا صفات النبوة ؟

٢ــ كيف رعى الله جل وعلا رسوله في نشأته ؟ أذكر مثالاً على ذلك ؟

٣ــ ما هو السبيل لاكتساب الهداية والصلاح ؟

المبحث الخامس

الرعيل الأول من السابقين إلى الإسلام

ألصق الناس برسول الله e هم الأسبق بمن آمن به: ذكر ابن إسحاق (أن في مقدمة من آمن به هم ألصق الناس به من آل بيته وأصدقائه زوجته خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله وراحت تخفف عنه ممَّا يكرهه من قومه من تكذيب وتُهون عليه أمر الناس، ولعظيم فضلها جاءت البشرى من الله تعالى لها، فعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب t قال: قال رسول الله e : (أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخَب فيه ولا نصب) والقصب هو اللؤلؤ المجّوف، ثم كان أول من آمن به e من الشباب وصلّى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله e قبل الإسلام ولم يزل علي مع رسول الله e حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً وكان رسول الله e إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب متخفياً من أبيه أبي طالب ومعه أعمامه ومن قومه ويمكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم أسلم زيد بن حارثه مولى رسول الله e استوهبه من خديجه بنت خويلد فوهبته له فأعتقه رسول الله e وتبناه وذلك قبل أن يوحى إليه، ولما علم رسول الله e أن أباه حارثة قد جزع على فقد ابنه وفراقه قال له رسول الله e : إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك فقال: بل أقيم عندك، فلم يزل عند رسول الله e حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه.

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة وأظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان أبو بكر رجلاً محبَّباً سهلاً ذا خلق ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام مَن وثق به من قومه) (٢٦).

من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر t : (لقد أسلم بدعوة أبي بكر الصديق أشراف من قريش لهم مكانة وسؤدد فكانوا من الرعيل الأول السابقين إلى الإسلام منهم: عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله حين

(٢٦) من السيرة النبوية لابن هشام من ص ٢٤٠ / ٢٥١ باختصار .

استجابوا له فأسلموا وصلوا ثم تلاهم أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن مخزوم والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله، كما أسلم عبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر وخباب بن الأرت، واسلم عمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعبد الله بن مسعود ومسعود بن ربيعة ويكنى أبا عمير. ثم تبعهم أعداد كثيرة ممن دخلوا في الإسلام وناصروا دين الله وفشا ذكر الإسلام بمكة ثم أمر الله عز وجل رسوله e أن يصدع بما جاء به وأن يدعو إليه علناً وينذر عشيرته الأقربين ويقول إني أنا النذير المبين) (٢٧).

وإلى التدبر في هذا الهدى النبوي الشريف:

أولاً: لقد كان بدء الرسول e في عرض دعوته على ألصق الناس وأعرفهم بعلانيته وسريته وهم آل بيته وأصدقائه هو الأسلوب الأمثل لنشر الدعوة في مراحلها الأولى لتشكيل قاعدة متينة يستعين بهم في أداء الواجب ممن يثق بصلاحهم وصدقهم ويعرفونه بحب الحق والخير كأمثال زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي شاركته في همومه الدعوية وآلامه النفسية لتخفف عنه هذه الأعباء وتدعوه للاستمرار في مسيرته والثبات عليها، والتي كانت المثل الأعلى للزوجة الصالحة التي تسهم في نجاح دعوة زوجها، وكم اشتد حزنه على فقدها وألمه لفراقها وفاءً لمواقفها المخلصة وتضحيتها الصادقة وظل طيلة حياته يذكرها ويترحم عليها ويبر صديقاتها، ممَّا يدعو الأزواج لحسن معاشرة زوجاتهم بالمعروف وكسب السمعة الطيبة لديهن.

ثانياً: كما كان من السابقين إلى الإسلام مولى رسول الله e الذي أحب رسولَ الله e حيث فضل العيش في حجر رسول الله e على الذهاب مع أبيه وعمه، واختار عليهما رسول الله e فصدقه عند بعثته؛ كما دخل في الإسلام علي بن أبي طالب وهو في حجر رسول الله e منذ ريعان شبابه وهو يعيش في كنفه وكان يحرص على الصلاة مع الرسول e مستخفياً في الشعاب، وعندما شاهدهما أبو طالب يصليان مرةً كلمهما بذلك ولما عرف حقيقة أمر الدعوة وعظيم فضائلها أمرهما بالثبات في مسيرتها، وهذا يقدم لنا المسؤولية للرعاية الإيمانية للموالي والأقارب وحسن التعامل معهم.

ثالثاً: وأسلم في أوائل أيام الدعوة الصديق الحميم أبو بكر الصديق t وهو من سادات قريش وأحد أشرافها فكان له الفضل الكبير في نشر الدعوة بين محبيه وأصدقائه الذين يثقون بصدقه وإخلاصه

(٢٧) من السيرة النبوية لابن هشام من ص ٢٤٠ / ٢٥١ باختصار .

وحسن معاشرته حتى أسلم على يديه الأعداد الكبيرة من الصحابة الكرام الذين ناصروا دين الله وبدأت بهم مرحلة الجهر بالدعوة حتى شاع ذكر الإسلام وتحدث الناس به، فكان نعم الصديق.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. دعوة الزوجين معاً لحسن المعاشرة فيما بينهما وتبادل مشاعر المحبة والإخلاص والصدق والتعامل باللطف لأنهما أعظم شاهدين على بعضهما في الاستقامة وأداء الواجب.

٢. الشعور بالمسؤولية في رعاية الضعفاء والأقارب والسعي لتربيتهم التربية الإسلامية الفاضلة لمردودها المبارك وثمراتها الطيبة.

٣. السعي لصحبة الأخيار من الأصدقاء والأقارب والبعد عن رفقاء السوء.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. واجب المسلم أن يكون داعية للناس لترغيبهم في دين الله وحسن التمسك بتعاليمه الفاضلة.

٢. العناية بالجوانب السلوكية التي دعا إليها الإسلام لأنها من لباس التقوى وسبب مرضاة الله **U**.

٣. التحذير من أخطار رفقاء السوء على الفرد والمجتمع.

أسئلة الدرس:

١. ما هو واجب الفرد تجاه الأقارب والعمال ؟

٢. كيف تختار لنفسك صديقك ؟

٣. ما ضرر صحبة رفيق السوء ؟

المبحث السادس

المجالس الدعوية المباركة في دار الأرقم

مرحلة الاستخفاء في الدعوة: قال ابن إسحاق: (كان أصحاب رسول الله e إذا حلّوا ذهبوا في الشعاب فاستُخفَوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله e في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يُصلُّون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص t يومئذ رجلاً من المشركين بِلَحْي بعير فشجَّه، فكان أول دم هريق في الإسلام) (٢٨).

إسلام مصعب بن عمير في دار الأرقم: جاء في طبقات ابن سعد: (كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً ونبهاً، وكان أبواه يحبانه، وكانت أُمّهُ غنية كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من ثياب وأرقَّه، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله e يذكره ويقول: ما رأيت بمكة أحسن لِمَّة ولا أرق حِلّةً ولا أنعم نعمةً من مصعب بن عمير، وقد بلغ مصعب بن عمير أن رسول الله e يدعو إلى الإسلام في دار أرقم بن أبي الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدَّق به، فخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله e سراً، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر أمه وقومه، فأخذوه وحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا) (٢٩).

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد كانت بداية نشر الدعوة الإسلامية في مرحلتها الأولى تتسم بالتكتم والسرية والخفاء حفاظاً على سلامة مسيرتها وحماية لمن يدخلون في الإسلام وتشجيعاً لهم إذا كان من الضعفاء الذين يخشون بطش مشركي قريش الذين يصدون عن سبيل الله ومخاصمتهم، وقد كان من الأمثلة الواقعية لظاهرة الاعتداء على كل من يظهر إسلامه هو استخفاف المشركين بصلاة المسلمين واستنكارهم لما يقومون به كما دعاهم لمقاتلتهم بعد ذلك ورد عليهم سعد بن أبي وقاص t بضربه أحد المشركين حتى شجه وأريق دمه. وكيف تعرض مصعب بن عمير للسجن لفترة طويلة حين بصر به أحد المشركين يصلي

(٢٨) من سيرة ابن هشام ـ القسم الأول ص ٢٦٣ .

(٢٩) من طبقات ابن سعد (٣/ ٨٢) .

فأخبر بذلك أمه وقومه.

ثانياً: لذا كانت مصلحة الدعوة وسلامتها وما تقتضيه الحكمة والحيطة هو اللجوء إلى الاجتماع سراً بين المؤمنين وعدم إظهار إسلامهم، لهذا لجأ الرسول المربي الداعية الكريم e إلى اجتماع المسلمين ومن يدخل مجدداً في الإسلام في مكان بعيد عن أنظار المشركين وهو دار الأرقم بن الأرقم يتلقون فيه علوم العقيدة وأحكام الشريعة ويقيمون الصلوات ويقرؤون القرآن بكل حرية وأمان. وقد اقتصرت الدعوة في هذه المرحلة السرية على الأقرباء والأصدقاء الذين يحرصون على هذه السرية وهو محل الثقة والإخلاص حتى جاء تكليف الله جل وعلا لنبيه الأمين e بالجهر بالدعوة في قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ].

ثالثاً: لقد تحققت للدعوة الإسلامية في مرحلة الخَفاء والسرية وفي دار الأرقم بن الأرقم إنجازات عظيمة ومصالح عليا كان من أهمها دخول أعداد من الراغبين في الدخول في الإسلام ما يقارب الأربعين من الرجال والنساء وأغلبهم ممن يخشون على أنفسهم من خطر إعلانهم للإسلام أمام قومهم ويرغبون في التكتم والسرية وكان منهم مصعب بن عمير الذي أثنى عليه الرسول e الذي دخل على رسول الله e في دار الأرقم ليعلن إسلامه وخرج وهو يكتم هذا الإعلان أمام قومه.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. يقدم اجتماع المسلمين برسول الله e بسرية وتكتم في دار الأرقم درساً عملياً للدعاة في كل زمان ومكان وإرشاداً توجيهياً بمشروعية الأخذ بالتكتم والسرية في الدعوة عند الخوف من الأخطار عليها أو على المؤمنين بها، ومراعاة لظروف الضعف وقلة الأعداد وتقدير المصلحة العامة في أسلوب الحكمة والتعقل والبعد عن خطر الاندفاع بالدعوة بحماس ونشاط في مثل هذه الظروف التي قد توقع الضرر بمسيرة الدعوة ودعاتها ثم القضاء عليها.

٢. أما حين تصبح الدعوة قوية في مسيرتها وفي أعداد المؤمنين بها والقدرة على حمايتهم والدفاع عنها فإنه لا يجوز اللجوء إلى التكتم والسرية لأنه دليل الهوان والضعف أمام أعدائها الذين يتربصون بها مثل هذه الظروف للإيقاع بها.

٣. كما لا يجوز مطلقاً مسالمة أعداء الدعوة بعد أن أصبحت الدعوة قادرة على رد الأخطار عنها لأن هذه المسالمة تعطي الحرية لنشاط الأعداء في محاربتها ولتعطيل مسيرتها دون خوف ولا وجل.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. الدعوة لاستعمال أسلوب الحكمة والمرونة عند الدعوة إلى الإسلام واختيار المواقف المناسبة لها.

٢. حينما تصبح الدعوة قوية بقدراتها وأفرادها فيجب اتخاذ شتى أساليب الدعوة الإعلامية وإظهار النشاط في مسيرتها طلباً للمثوبة من الله تعالى.

٣. البعد عن مشاعر الخوف عند القيام بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لأن ذلك نوع هام من معاني الجهاد في سبيل الله الذي يبتغى به وجه الله تعالى.

أسئلة الدرس:

١. متى يستخدم الداعية أسلوب الخفاء والسرية ؟

٢. ومتى ينشط للدعوة بقوة إعلامية ؟

٣. ماذا تعرف عن فضل الدعوة إلى الله ؟

المبحث السابع

موقف عمه أبي طالب في الدفاع عنه

خطاب مشركي قريش: يقول ابن إسحاق: (لما بادى رسول الله e قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ثم ذكر آلهتهم وعابها أجمعوا على عداوته، وعطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، فلما رأت قريش أن عمه أبا طالب قد عطف عليه مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا، فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم) [٣٠].

صمود الرسول الأمين في دعوته وتعهد أبي طالب لحمايته: قال ابن إسحاق: (إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله e فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قد قالوا له، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك ولا تُحملني من الأمر ما لا أطيق. قال: فظن رسول الله e خاذله ومُسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله e: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، ثم بكى رسول الله e وقام. فلما ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أَقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله e، فقال: اذهبْ يا بن أخي، فقل ما أَحْببتَ فوالله لا أُسلمك لشيءٍ أبداً) [٣١].

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد كلف الله U نبيه الهادي e بالدعوة إلى الدين الجديد وتبليغ رسالته إلى الناس أجمعين لهدايتهم إلى صراطه المستقيم وإنقاذهم من أخطار الشرك والفساد، وهي أمانة ثقيلة وعبء مرهق يعجز عن تحمله أصحاب القوة والجلادة، ولهذا فقد دعاه مولاه جل ثناؤه إلى مجاهدة النفس لتحمل هذه المهمة الشاقة بإطالة العبادة والإكثار من التهجد ودراسة معاني القرآن الكريم بتدبر ووعي ممَّا سيؤهله لحمل الرسالة وأداء الأمانة بعزيمة قوية ونفس صامدة في مواجهة الجاحدين لرسالته والمجابهين

(٣٠) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام قسم أول ص(٢٦٥ـ٢٦٦) .

(٣١) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام قسم أول ص(٢٦٥ـ٢٦٦) .

لمسيرة دعوته، فقال سبحانه وتعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥] (٣٢).

ثانياً: وقد كان أبو طالب عم رسول الله e من أشد المحبين له والمعجبين بخلقه وأمانته، وكم كانت نفسه تحدثه في تصديق ابن أخيه في دعوته والدخول في دين الإسلام لولا خوفه من اعتراض قومه عليه ومَلامتهم له وما سَيعقُبه ذلك من استخفاف به وشتيمة له، لهذا كان حريصاً على حماية ابن أخيه والدفاع عنه بكل إخلاص وغيرة مع اعترافه بأن تكرار دعوته e إليه للدخول في الإسلام كانت على سبيل النصيحة والإرشاد لاعتناق أفضل الأديان على الإطلاق، وهذا ما عبر عنه في قصيدته الصريحة في قوله مخاطباً ابن أخيه e في إصراره على حمايته طيلة الحياة:

والله لن يَصلوا إليك بِجمعهم ... حتى أُوسَّد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقرَّ بذاك منك عيناً
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ... ولقد صدقتَ، وكنت ثَمَّ أميناً
وعرضت ديناً قد عرفتُ بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارِ مسبةٍ ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا(٣٣)

ثالثاً: وكان موقف رسول الله e في صموده وصبره وإصراره على أداء الأمانة وتبليغ الرسالة موقف الواثق بنبوته المخلص في دعوته والمؤمن بتأييد الله له مهما طال الفراق وتنوعت المعوقات وكثرت المتاعب. وهذا ما دعاه لرفض كل العروض المغرية من مشركي قريش واستخفافه بالتهديدات الجادة منهم، والجهر بكلمته الإيمانية الحازمة والجريئة التي عبرت عن إيمان لا يضعف وثبات لا يتزحزح عنه أو يتخلى عنه مهما كانت العواقب خطيرة عليه.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. وجوب الثبات على دعوة الهداية ومتابعة تبليغها بكل جهد ممكن، وفي طريق الموعظة الحسنة وما تطلبه مواقف الحكمة والتعقل وذلك ابتغاء مرضاة الله U والفوز بالأجر والمثوبة منه.

٢. الاستعانة بعبادة الله تعالى والإكثار من ذكره والإقبال على تلاوة القرآن الكريم بتدبر وإمعان من أجل تحمل أثقال الدعوة إلى الله وتجاوز مشاقها وتحمل مصاعبها.

(٣٢) من سورة المزمل (١ : ٥).

(٣٣) من مختصر سيرة الرسول e لمحمد بن عبد الوهاب ص ٦٨ .

٣. الحذر من خطر التراجع والخوار أمام العروض المغرية أو التهديدات المزعجة لما في ذلك من خيانة لله ولرسوله وتفويت لمكاسب الدعوة.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب الإخلاص في الدعوة إلى الله و طلب العون منه بدعائه و طاعته.

٢. تعويد النفس على الصبر والصمود أمام كل المتاعب والصعوبات في طريق الدعوة.

٣. رفض كل المغريات المادية والتهديدات المؤدية لوقف مسيرة الدعوة.

أسئلة الدرس:

١. ما هي نوع الصعوبات التي تلقاها عند الدعوة إلى الله ؟

٢. ما هو موقفك منها إذا تعرضت لها ؟

٣. ما هي الوسيلة للفوز بمعونة الله وحمايته عند تبليغ الدعوة ؟

المبحث الثامن

آية انشقاق القمر

تحدي المشركين لرسول الله e بطلبهم منه انشقاق القمر: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (اجتمع المشركون إلى رسول الله e منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل ابن هشام، والعاص بن أبي وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم كثير، فقالوا للنبي e: إن كنت صادقاً فشُق لنا القمر فرقتين، نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قيقعان، فقال لهم رسول الله e: (إن فعلتُ تُؤمنوا؟) قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله e ربه U أن يعطيه ما سألوه، فأمسى القمر قد مثَل ـ أي صار ـ نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قيقعان، ورسول الله ينادي: (يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم اشهدوا)) [٣٤].

موقف المشركين الجاحد بعد تحقيق هذه المعجزة الباهرة: عن ابن مسعود t قال: (انشق القمر على عهد رسول الله e بمكة فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال e: اشهدوا، اشهدوا، فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر، هل رأوه ؟ فأتوا فسألوهم، فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك، فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل الله تعالى قوله: [ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ] [٣٥].

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الحديث النبوي الشريف:

أولاً: لقد بذل الرسول الأمين e جهده وقدم كل طاقاته من أجل تبليغ دعوة الله جل وعلا للناس والهداية إلى صراط الله المستقيم، مستخدماً مختلف الوسائل الدعوية والأساليب المقنعة لتحقيق هذه الغاية النبيلة، فكان هو القدوة الحسنة والمثل الرائع في الفضائل الخلقية والفصاحة في القول، والتجمل بالصبر أمام مواقف الجحود والإنكار، وحرصه على استجابته للطلبات والأسئلة مستعيناً بخالق

(٣٤) رواه الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٩٥) .

(٣٥) رواه البخاري (١٩/ ٢٠٦) والآية من سورة القمر: ١ـ٢ .

الأرض والسماء جل وعلا العليم الحكيم والذي لا تخفى عليه خافية ويعلم السر وأخفى، من ذلك إنفاذه لطلب مشركي قريش، بأن يشق لهم القمر فرقتين والذي يستحيل على أي إنسان مهما بلغت قدرته أن يلبي هذا الطلب، فقد سارع للجوء إلى ربه جل وعلا والتوجه إليه بالدعاء لتحقيق ما سألوا طمعاً في إيمانهم وتصديقهم لبعثته e ، وقد استجاب له ربه تبارك وتعالى وقال للقوم اشهدوا اشهدوا !! .

ثانياً: ويؤكد موقف المشركين الجاحد بعد ظهور هذه المعجزة الكونية الباهرة مدى تعنتهم وجحودهم واتباعهم لأهوائهم وسخف عقولهم وانسياقهم وراء الضلال والإنكار وإصرارهم على كفرهم، فأمام عظمة هذه الآية النادرة التي تعجز لها الإنسانية كلها بأدائها أو أداء نظير لها والتي شاهدوها بأعينهم وجاء المسافرون وهم في طريق عودتهم إلى مكة ليشهدوا كذلك ويؤكدوا لهم رؤيتهم لانشقاق القمر فرقتين بما يدفع كل الظنون والشبهات والاتهامات الباطلة فكان ردهم بكل وقاحة وصفاقة عدم الإيمان بدعوة رسول الهدى والرحمة e خلافاً لما وعدوه به وعاهدوه عليه، وقد وصفهم القرآن الكريم بإتباع أهوائهم المنحرفة ودوافعهم الضالة وظلمهم لأنفسهم بحرمانها من الهداية إلى نور الحق المبين في قوله تبارك وتعالى: [فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ] (٣٦) .

ثالثاً: وفي مواجهة هذه المواقف التعجيزية من مشركي قريش واستخفافهم بكل آية يشاهدونها بالاتهامات الباطلة فقد جاءت مواساة العليم الحكيم جل وعلا لرسوله الأمين e في محكم التنزيل ليوضح له تصرفات المشركين في مختلف عصورهم الغابرة وأمام مختلف الدلائل الثابتة وجحودهم لجميع الأنبياء السابقين مما يستحقون عقوبة يوم الحساب العسير في قوله تبارك وتعالى: [ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ (٣٧) كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى

(٣٦) من سورة القصص: ٥٠ .

(٣٧) الأجداث يعني القبور.

ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾] (٣٨).

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. وجوب تحلي الداعية والمعلم بالصبر والأناة والمجادلة بالتي هي أحسن لدعم معاني الإيمان في القلوب مع الاستجابة للاستفسارات والأسئلة التي تساعد على معرفة أحكام الشريعة الإسلامية وفضائلها السامية.

٢. من أعظم ما يساعد العالم والداعية في حسن تبليغه وأدائه هو الإخلاص لله في المقاصد والتوجه إليه بالدعاء الخاشع فهو سلاح المؤمن في الشدة والرخاء وفي المكره والمنشط.

٣. الإكثار من ذكر المعجزات التي ظهرت على يد رسول الله e في دروس المواعظ وأحاديث السيرة النبوية والتي تدفع الشبهات والشكوك.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. الاهتمام بتدريس السيرة النبوية وما فيها من المعجزات الباهرة.

٢. تربية الناشئة على التوجه بالدعاء إلى الله جل وعلا في الشدة والرخاء.

٣. السعي للمجادلة بالحسنى لإدخال الإيمان في القلوب عن قناعة ومعرفة.

أسئلة الدرس:

١ـ بماذا استعان الرسول الأمين e في انشقاق القمر ؟

٢ـ ما هي فائدة المعجزات ؟

٣ـ اذكر اثنتين ممَّا تحفظ من المعجزات الأخرى ؟

(٣٨) من سورة القمر (١ : ١٠) .

المبحث التاسع

إسلام عمر بن الخطاب بعد دعوة الرسول الأمين e

قصة إسلام عمر: ذكر ابن إسحاق (أن إسلام عمر كان حينما بلغه أن أخته فاطمة بنت الخطاب وبَعلها سعيد بن زيد أسلما وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله e ورهطاً من أصحابه قد اجتمعوا عند الصفا، فلقيه نُعيم بن عبد الله، فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً هذا الصابيء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله، فقال له نُعيم: والله لقد غَرَّتك نفسك يا عمر، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم، هم أختك فاطمة وزوجها فقد والله أسلما فعليك بهما، فرجع عمر عائداً إلى بيت أخته وجد خبابَ بن الأرتِّ ومعه صحيفة يقرئها إياها سورة طه، فلما سمع قراءة خباب تأكد من دخولهما في الإسلام، فبطش بسعيد بن زيد وضرب أخته فاطمة حين دافعت عن زوجها فشجها؛ ثم طلب إعطاءه الصحيفة فقالت له: إنك نجسٌ على شركك ولا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر واغتسل فأعطته الصحيفة فلما قرأ صدرها قال: ما أحسن هذا الكلام وما أكرمه، فلما سمع خباب كلامه خرج إليه وأخبره بدعوة النبي e في قوله: (اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب) فاللهَ اللهَ يا عمر! فقال عمر: دلّني على محمد حتى آتيه فأُسلم، فخرج معه إلى بيت عند الصفا وعمر متوشح سيفه، فلما سمع الصحابة صوته، قال لهم رسول الله e : ائذنوا له فنهض إليه رسول الله e فأخذ بِمجْمع ردائه ثم جَبذه جَبْذةً شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فقال عمر: جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله e فعرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم)[٣٩].

الآثار الهامة لإسلام عمر: وعن عبد الله بن مسعود t : (أن إسلام عمر كان فتحاً، وأن هجرته كانت نصراً، وأن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه) [٤٠].

! ! ! !

(٣٩) من السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص ٣٤٣ باختصار .

(٤٠) نفس المصدر السابق ص ٣٤٢ .

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد جاءت دعوة الرسول الأمين e لربه أن يعز الله دينه بإسلام عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام لحاجة الدعوة الماسة إلى شخصيات ذات نفوذ قوي ومكانة رهيبة وذلك رغبة في الدفاع عن دين الله الحق ومناصرة أهله ووقف الأذى عن أصحابه، وسمع هذا الدعاء بعض الصحابة وهم ينتظرون إجابة الله، فاستجاب الله وهو السميع العليم جل وعلا دعوة رسوله الهادي بإذن ربه إلى صراط مستقيم وذلك باختيار عمر بن الخطاب للدخول بالإسلام مع حدة طبعه وقوة شكيمته وتنوع الأذى الذي لقيه منه المسلمون.

ثانياً: لقد كان دخول عمر بن الخطاب t في الإسلام آية عظيمة من آيات الله المشاهدة ودليلاً واضحاً على عظيم قدرة الله جل وعلا الذي يتصرف بقلوب عباده فيهدي من يشاء إلى الحق وينور قلوبهم بنور الإيمان فقد انتقل من الكفر إلى الإسلام من تلقاء نفسه انتقالاً سريعاً في حالة كان يتأهب بها لقتال الرسول الكريم e وصحبه الأفاضل المجتمعين بخفاء عند الصفا فتغير توجهه من دوافع الكراهية والمخاصمة إلى بواعث الاستسلام والطاعة بقدرة العلي الحكيم جل وعلا استجابة لرسوله الداعية الأمين e وبمجرد سماعه لتلاوة آيات من القرآن الكريم في بيت أخته بعد أن ضربها وضرب زوجها لدخولهما في الإسلام، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده.

ثالثاً: لقد كان دخول عمر بن الخطاب في الإسلام نصراً مبيناً وفرجاً عظيماً وتحولاً كبيراً كبر له رسول الله e ابتهاجاً باستجابة دعوته ونصرة دينه وفرح المسلمون من الصحابة الكرام بهذا التكريم الإلهي بعزة المسلمين وازدادت مشاعر الاعتزاز والقوة في نفوسهم عند إقدام عمر بن الخطاب t فصلى علناً وبكل جرأة عند الكعبة المشرفة بعد مشادة ومخاصمة وأقبل المسلمون بعده فصلوا عند الكعبة بعد حرمانهم الطويل من الظهور بإقامة الصلاة من قبل مشركي قريش.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. حاجة الدعوة الإسلامية في كل زمان لشخصيات ذات نفوذ وهيبةٍ لحماية مسيرتها وإيقاف الظلم والاستخفاف بها.

٢. الاستعانة بالصبر الجميل والدعاء الخالص لأنهما الملاذ الآمن وسلاح كل مسلم في مواجهة الأعداء وتفريج الكروب وحفظ الحقوق.

٣. البعد عن مشاعر اليأس والضعف عند تعثر مسيرة الدعوة الإسلامية لظروف قاسية حتى يحافظ المسلم في صموده على أداء واجبه وثقته بنصر ربه جل وعلا وفوزه بالأجر والمثوبة.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب تعزيز الصلة بالله والثقة بنصره في النفوس.

٢. ثم الدعاء بنصر الدين وحمايته من الأعداء.

٣. وتَعزيز الصلات بشخصيات ذات نفوذ أملاً في دخولهم في الإسلام بالحكمة وبالدعاء.

أسئلة الدرس:

١ـ لماذا دعا الرسول e بإسلام أحد العمرين ؟

٢ـ اقرأ مطلع سورة طه الذي فيه الدواعي التي أسلم بسببها عمر y .

٣ـ لماذا فرح المسلمون بدخول عمر بالإسلام ؟

المبحث العاشر

بيعة العقبة وأهميتها

بيعة العقبة الأولى: عن عبادة بن الصامت t وكان شهد بدراً وهو أحد النقباء ليلة العقبة قال: كنا اثنا عشر رجلاً فقال لنا رسول الله e : (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. قال عبادة فبايعناه على ذلك) (٤١).

بيعة العقبة الثانية: وقد روى محمد بن إسحاق عن كعب بن مالك t قال: (خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله e عند العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج ذهبنا مستخفين إلى الشعب عند العقبة، فاجتمعنا ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا، فتكلم القوم وقالوا: خذ منا لنفسك ولربك ما أَحببتَ. . فتكلم رسول الله e فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أُبايعكم على أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه نساءكم وابناءكم، فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم والله الذي بعثك بالحق لَنمنعنَّك ممَّا نمنع منه نساءنا، فبايعنا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر، واعترض القول أبو الهيثم بن الشيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال من اليهود جمالاً وإنا لقاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا! فتبسم رسول الله e ثم قال: بل الدمَ الدمَ والهدمةَ الهدمةَ أَنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) (٤٢).

! ! ! !

إلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد كانت بيعة العقبة الأولى والثانية فتحاً مبيناً وبداية مباركة لمسيرة الدعوة الإسلامية بعد المعاناة الطويلة في مواجهة المصائب والمحن مقترنة بالجهاد المتواصل والثقة بنصر الله جل وعلا لا يضعف فيها الرسول الأمين e وأصحابه الأكارم من عزائمهم الصامدة، حتى أثمرت هذه الجهود الدعوية المتأنية والصبر الجميل ثمراتها النافعة في نصر الله ورعايته في خطواتها الأولى.

(٤١) أخرجه البخاري ج ١ ص ١٢ .

(٤٢) من السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص ٤٤١ . .

ثانياً: لقد تحقق انتصار الدعوة وحفظ مسيرتها المباركة على أيدي عددٍ قليل من أهل المدينة قدموا إلى الحج وهم يرغبون بلقاء الرسول e لإعلانهم إسلامهم وهم مستخفون من مطاردة قريش إذا علموا بهم، فبايعوه e بكل رغبة وصدق ثم عادوا إلى قومهم وهم يحملون رسالة الإسلام الهادية يبشرون بها ويبلغونها بكل نشاط وإخلاص وأسلم على أيديهم عدد من أهل المدينة فكانوا في طليعة المستقبلين لرسول الله e في هجرته إليها بحفاوة وتكريم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً فكانت المدينة المنورة القاعدة الكبرى للفتح الإسلامي وإقامة دولة الإسلام وبناء مسجد قباء والمسجد النبوي.

ثالثاً: تضمن موضوع البيعة الأولى على وجوب الالتزام بمنهج الدعوة الإسلامية وأحكامها الشرعية الفاضلة وتطبيقها العملي في حياتهم في مجالاتهم العقائدية والسلوكية والاجتماعية، بينما كانت بيعة العقبة الثانية مؤكدة على واجب الدفاع عن دين الله والجهاد في سبيله والسمع والطاعة في العسر واليسر بعد أن أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله بقتال أعدائه الذين يصدون عن سبيله ويقفون في وجه الدعوة الإسلامية الهادفة.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. لقد كان لجهود الطليعة المؤمنة ممن حضروا العقبة الأولى والثانية الأثر المبارك في انتشار الإسلام في المدينة المنورة من خلال تلاوة القرآن وبيان تعاليمه الرشيدة ممَّا يؤكد على كل مسلم ومسلمة واجب حمل رسالة الإسلام إلى الأقربين من قومهم ومن يتصلون بهم من غيرهم وتبليغها بكل اهتمام واستمرار ودون تردد أو تقصير.

٢. كما كان لهذه الطليعة المسلمة الطاهرة الفضلُ في حسن استقبال الرسول الأمين وصحبه الأبرار بعد أن أذن الله لهم بالهجرة بعد تعرضهم المرير للمعاناة القاسية والأذى الشديد فاستضافوهم أحسن ضيافة وناصروهم وأثاروا مشاعر الأخوة الإيمانية فيما بينهم وواسوهم في هجرتهم التي تخلوا فيها عن عشيرتهم وأموالهم وأوطانهم؛ ممَّا يدعوا الأمة الإسلامية لإقامة أجواء التعاون على البر والتقوى ودعم دوافع المناصرة ومشاعر الإخاء بين المسلمين لدحض جهود أعدائهم في تفريقهم والتسلط عليهم.

٣. الموضوع الهام لتلك البيعتين لا يقتصر الالتزام به على من حضرها ولكنه يشمل في تطبيقها كلَّ مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان لأنها واجبات شرعية ومهمات دعوية يتحمل مسؤوليتها جميع أفراد الأمة الإسلامية لما يحققه من وحدة وقوة ونصر بإذن الله تعالى.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب الاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية بإشراف إخوانهم الدعاة المخلصين بأسلوبها الحكيم.

٢. الدعوة للصبر على تحمل أعباء الدعوة والتضحية في سبيلها ابتغاء مرضاة الله ونصراً لدينه القويم.

٣. ضرورة توضيح مضامين هاتين البيعتين في مجال التربية والتعليم والدعوة إلى الله لأهمية مواضيعها.

أسئلة الدرس:

١. ماذا تعرف عن موضوع البيعة الأولى ؟

٢. ماذا تعرف عن موضوع البيعة الثانية ؟

٣. هل أنت مستعد للالتزام بهما ؟

المبحث الحادي عشر

ميثاق الظلم في حصار الشِعب

خبر الصحيفة في تحالف قريش ضد بني هاشم وبني المطلب : قال ابن إسحاق: لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله e قد نزلوا الحبشة وأصابوا بها أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله e وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وتآمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكِحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يَبتاعوا منهم؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم. وقد دعا رسول الله e على كاتب الصحيفة فشلَّ بعض أصابعه، فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم، وجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمه وقومه من بني هاشم وابن المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمَّى لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار، فكان ممن سمَّي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب وامرأته أم جميل حمالة الحطب والتي كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله e حيث يمر فأنزل الله تعالى فيها قوله: [تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥]، وحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها أتت رسول الله e وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها حجر ملء كفها، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله e فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربتُ بهذا الحجر فاه، أما والله إني لشاعرة ثم قالت:

مذمَّماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا.

ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال: (ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني).

وكانت قريش تحكي رسول الله e مذمَّماً ثم يسبونه، فكان رسول الله e يقول: (ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش، يسبون ويهجون مذمَّماً وأنا محمد) وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله e همزه ولمزه فأنزل الله تعالى فيه: [وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩] (٤٣).

العزم على تمزيق الصحيفة وإخبار الرسول e بأكل الأرضة لها: لقد أبلى نفر من قريش في نقض الصحيفة، وكان في مقدمتهم بلاءً هشامُ بن عمرو بن ربيعة وكان ذا شرف في قومه وقد مشى إلى زهير بن أبي أمية يقول له: يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم؛ قال: ويحك يا هشام ماذا نصنع إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أَنقضها، ثم ذهب إلى المطعم بن عدي يدعوه لنقض الصحيفة وكلم بعده البخَتري بن هشام وزمعة بن الأسود، واجتمع هؤلاء جميعاً وتعاقدوا على نقض الصحيفة، وعزم زهير بن أبي أمية أن يكلم القوم في أَنديتهم فطاف بالبيت سبعاً ثم قال: يا أهل مكة: نأكل الطعام ونَلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة الظالمة، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم) (٤٤).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: يبرز هذا الحصار الظالم مدى التعسف والغيظ الذي يتحرك في قلوب مشركي قريش ضد دعوة الإسلام وأنصاره بعد أن لمسوا الإنتصارات تتوالى وهزائمهم وعجزهم يتعاقب في كل مجال كوقوف النجاشي إلى جانب حماية المسلمين المهاجرين إليه ثم إسلام كبار القوم كعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب والكثيرين من أبناء القبائل، وهو ما يقدم صورة شنيعة لتصرفات أعداء الإسلام في كل زمان ومكان لمحاربة الإسلام ومنعهم من ممارسة حقوقهم الطبيعية وحرمانهم من كسب الرزق والحصول على الأطعمة.

(٤٣) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام قسم أول ص ٣٥٠ – ٣٥٦ .

(٤٤) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام قسم أول ص ٣٧٤ – ٣٧٦ .

ثانياً: لقد صمد هؤلاء المحبوسون ومعهم بعض القبائل المناصرة لهم عن حمية وغيرة مدة ثلاث سنوات حتى تعرضوا للجوع الشديد وأكل الأعشاب وتحملوا في سبيل حماية دعوتهم كل مشقة وجهد والله يحب الصابرين.

ثالثاً: لقد جاء فرج الله بعد هذا الضيق بإخبار الرسول الأمين e بأن حشرة أكلت الصحيفة إلا ما فيها من ذكر الله تعالى، ولما أسرع إليها عدد من رؤساء المشركين من قريش ففتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر رسول الله e عمه أبا طالب وانتهى الحصار.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. لا يراعي أعداء الإسلام عند محاربتهم للمسلمين في دينهم أي مبدأ من مبادئ حقوق الإنسان وحماية العقيدة ممَّا يؤكد أن هؤلاء دعاة مصالح ومكاسب لا دعاة حقوق إنسانية.

٢. الصبر وتحمل الأذى هو الأسلوب الأمثل لمواجهة مواقف الأعداء.

٣. لابد للفرج بعد الضيق والنصر بعد المعاناة من عند الله لأنه يحب الصابرين لا يحب الظالمين.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب التحلي بالصبر الجميل واحتساب الأجر.

٢. لا يأتي الفرج والنصر إلا من عند الله لمن يدعو للتوجه إليه بالدعاء والثقة بنصره.

٣. الاعتقاد الراسخ بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أسئلة الدرس:

١. لماذا لجأ المشركون إلى هذا الحصار الظالم ؟

٢. ما مضمون الصحيفة في تحقيق الحصار ؟

٣. كيف تم نقض الصحيفة وإتلافها ؟

المبحث الثاني عشر

بشارات الرسل والأنبياء بخاتمهم محمد e

عن صفته في التوراة: عن عطاء بن يسار t قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله e في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته بالقرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميّين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)(٤٥).

انتفاع اليهود بالسؤال بحق محمد: ذكر ابن كثير يرحمه الله عند ذكره لسبب نزول الآية الكريمة من سورة البقرة برقم ٨٩ حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت اليهود بخيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء، قالوا: اللهم نسألك بحق محمدٍ النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا هذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي e كفروا به فأنزل الله U [وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ].

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: تنطلق بشارات الرسل والأنبياء ببعثة خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من وحدة رسالاتهم في عقيدة التوحيد التي تدعو إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له وتنزيهه عن صفات النقص والعجز وغيرها من الصفات التي لا تليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى، كما تدعو إلى الإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار، لذا جاءت دعوات الأنبياء والمرسلين جميعاً يكمل بعضها بعضاً ويصدق الرسول دعوة من قبله ويبشر بالرسول الذي يأتي من بعده، فليس ثمة اختلاف بين الأنبياء والمرسلين في موضوع العقيدة التي جاءت من عند الله تبارك وتعالى، وهو ما أعلنه القرآن الكريم في قوله جل ثناؤه: [۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ

(٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٤.

وَعِيسَىٰٓ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ] (٤٦)، فليس ثمة أي اختلاف بين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في موضوع العقيدة وإنما الاختلاف في الأحكام والتشريعات الدنيوية والتي تخص أقوامهم وفق متطلبات مصالحهم، والتي تنسخها كل دعوة لما قبلها من هذه الأحكام.

ثانياً: وقد توالت بشارات الرسل والأنبياء ببعثة خاتمهم النبي الهادي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودعوة أقوامهم للتصديق برسالة الإسلام دين الله الحق والإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين إذا أدركوا عهده، فقد وصى بها إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام بنيه في قوله لما ذكره القرآن الكريم: [إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ] (٤٧) كما وصى بها موسى u قومه من بني إسرائيل في دعائه بالصبر والموت على الإسلام كما قال تعالى عن سحرة فرعون: [قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ] (٤٨)، كما قال تعالى عن عيسى u : [۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ] (٤٩).

ثالثاً: لذا فجميع الديانات السابقة مدعوون إلى الإيمان بوحدانية الله جل وعلا وتصديق رسالة الإسلام كما بشر بها أنبياؤهم، وعليهم أن يتخلوا عن عقائدهم الخاصة التي تخالف عقيدة التوحيد في دين الله الحق، ولهذا جاء خطاب المولى العلي القدير لأهل الكتاب في تصحيح عقائدهم وعدم الصد عن سبيل الله دين الإسلام فقال جل وعلا: [قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا

(٤٦) من سورة الشورى آية ١٣ .

(٤٧) من سورة البقرة آية ١٣١ – ١٣٢ .

(٤٨) من سورة الأعراف آية ١٢٥ .

(٤٩) من سورة آل عمران آية ٥٢ .

تَعْمَلُونَ][٥٠]، وقد علق ابن كثير يرحمه الله عند تفسيره لهذه الآية الكريمة في قوله: (هذا تصنيف من الله للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الأنبياء والأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوَّهوا عنه به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم من الأنبياء، ومعاملتهم للرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعتاد، فأخبر الله تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أي سيجزيهم على ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. دين الإسلام في عقيدة التوحيد الخالص هو دين الله الحق ودين الإنسانية جمعاء الذي أبدى جميع الأنبياء السابقين استعدادهم للإيمان به ودعوة أقوامهم لقبول دعوته والتصديق ببعثة خاتم المرسلين e.

٢. من أهم الأساليب الدعوية في الحوار مع أهل الكتاب هو توضيح بشارات رسلهم وما أشادت به الكتب السماوية الخاصة بهم.

٣. تلاوة آيات الله الواردة في القرآن الكريم يعزز القدرات الإيمانية لدى المسلم ويزيد من تعلقه بدينه القويم.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. الاعتزاز بدين الإسلام الذي أكرم الله به الأمة المسلمة وفضلها على جميع الأمم.

٢. السعي الجاد لاتخاذ بشارات الأنبياء أسلوباً عند الحوار مع غير المسلمين ودعوتهم للإيمان برسالة الإسلام.

٣. دعوة الناس كافة من مختلف الأجناس والأوطان لدين الله الحق والهادي إلى صراطه المستقيم.

أسئلة الدرس:

١. ماذا كان اليهود يدعون عندما يلقون غطفان ؟

٢. اذكر الآية التي وصَّى بها إبراهيم بنيه ؟

٣. لماذا كان دين الإسلام هو دين الحق ؟

---

(٥٠) من سورة آل عمران ٩٨ – ٩٩ .

المبحث الثالث عشر

الاستجابة لرغبته e في تحويل القبلة

الصلاة نحو بيت المقدس والرغبة في التحول منها: عن البراء بن عازب t : (أن النبي e كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده – أو قال على أخواله– من الأنصار، وأنه e صلى قِبلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبلَ البيت، وأنه صلى أول صلاةٍ صلاها صلاة العصر وصلّى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمَّر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليتُ مع رسول الله e قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك) (٥١).

صحة صلاة مَن سبق أن صلوا قبل تحول القبلة: وعن البراء بن عازب t قال في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تُحوّل رجالٌ وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم ! فأنزل الله تعالى: [وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ] (٥٢).

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد التزم المسلمون بالصلاة نحو بيت المقدس مع رسول الله e عندما كانوا في مكة المكرمة بعد هجرتهم إليها مع تعلق قلوبهم بمحبة الكعبة المشرفة وكان الرسول الأمين e يرغب أن تكون قبلته قبل الكعبة قبلة إبراهيم الخليل u ، ولم يتحول الرسول e من تلقاء نفسه بل ظل هو والمسلمون مطيعين لأمر الله تعالى ولو كان خلافاً لرغباتهم وأهوائهم حتى جاء تكريم الله U لرسوله وللمسلمين بالأمر بتحويل القبلة نحو المسجد الحرام في قوله سبحانه وتعالى: [قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ] (٥٣).

ثانياً: لقد عاش المسلمون في صلاتهم نحو بيت المقدس محنة في ثباتهم على طاعة الله ورسوله في الصلاة

(٥١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ج ١ ص ١٦ .

(٥٢) نفس المصدر السابق والآية الكريمة من سورة البقرة ١٤٢ .

(٥٣) من سورة البقرة آية ١٤٤ .

نحو بيت المقدس خلافاً لرغباتهم وتطلعاتهم واستسلموا لأمر الله U ففازوا في هذا الامتحان الإلهي حتى جاء الأمر والإذن ممن يملك المشرق والمغرب والهداية لمن يشاء جل ثناؤه في قوله سبحانه [وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ] (٥٤).

وقد اعترض السفهاء من الأعداء من مشركي قريش وأحبار اليهود والمنافقين على التوجه نحو الكعبة المعظمة وحصل منهم زيغ عن الهدى وارتيابٌ وشكوكٌ، وتساءلوا: ما لهؤلاء تارةً يستقبلون كذا و تارةً يستقبلون كذا ؟ فأنزل الله جل وعلا ما يرد عليهم في تساؤلاتهم واعتراضاتهم في قوله تبارك وتعالى: [۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ] (٥٥). وقد كان اعتراض أهل الكتاب وغيرهم حسداً من عند أنفسهم على فضل الله جل وعلا لأمة محمد e وتكريمه لهم فقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله e قال: (يعني في أهل الكتاب: أنهم لا يحسدوننا على شيءٍ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلُّوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين) (٥٦).

ثالثاً: ولقد جاء تحويل القبلة في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة في مكة المكرمة فضلاً عظيماً لأمة الإسلام التي جعلها خير أمة أخرجت للناس فأصبح المسلمون بعد ذلك يتوجهون في صلواتهم نحو الكعبة المعظمة في جميع بقاع العالم وعبر مختلف أزمانهم إلى يوم القيامة؛ وقد جاء تعليق ابن كثير يرحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ] (٥٧) بقوله (إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم u واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط معناه الخيار والأجود ثم ذكر ما ثبت في الصحاح وغيرها (أن الله لما جعل هذه الأمة وسطاً خصَّها بأكمل

(٥٤) من سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٥٥) من سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٥٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ١٣٥ .

(٥٧) من سورة البقرة آية ١٤٣ .

الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب).

ومن المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. استجابة الله جلت قدرته لرغبة النبي الكريم e في توجهه نحو الكعبة المعظمة كان ذلك تكريماً له e ولأمته المسلمة حيث أعطاهم ما رغبوا به وأحبوه من غير جهر بالسؤال ولا إلحاح بالدعاء.

٢. إن تمني المسلم لتغيير حكم من أحكام الشريعة إذا كان فيها مصلحة له أو لغيره جائز ولا يعتبر اعتراضاً على حكم الله.

٣. لقد كان لانصياع المسلمين وطاعتهم لله ورسوله في الصلاة نحو بيت المقدس خلافاً لرغباتهم فضلٌ عند الله تعالى أكرمهم بإجابة رغبتهم الخالصة وتوجههم الصادق.

ومن الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب طاعة المسلم لله ورسوله ولو خالف رغباتهم بالتفويض الخالص لله تعالى.

٢. ثبات المسلم على طاعة الله ورسوله يفتح أمامه أبواب الخير ويمنحه مرضاة ربه جل وعلا.

٣. على المسلم أن يتيقن أن الله مطلع على الجهر في القول والخفاء في النفس.

أسئلة الدرس:

١. لماذا فضل المسلمون تحويل القبلة نحو الكعبة ؟

٢. ما هو سبب اعتراض أهل الكتاب على تحويل القبلة ؟

٣. هل صحت صلاة من صلى نحو بيت المقدس من قبل ؟

المبحث الرابع عشر

كشفه e عن أشراط الساعة للتحذير من أخطارها

من أشراط الساعة: عن أنس t قال: سمعت رسول الله e يقول: (من أشراط الساعة أن يَّقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) (٥٨).

وعيسى علم من أعلام الساعة: عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم e حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) (٥٩).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد أخفى الله جل وعلا وهو عالم الغيب والشهادة موعد الساعة التي لابد أنَّها ستكون آتية لا محالة، وقد أخفاها جل جلاله على جميع مخلوقاته حتى الملائكة المقربين والمرسلين المصطفين لحكمة عظيمة ليتحقق فيها الحساب العادل وليعطى فيها الجزاء المناسب لكل عامل على قدر عمله، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وهذا ما أعلنه القرآن الكريم من حكمة الإخفاء في قوله تبارك وتعالى: [إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ] (٦٠)، وقد كان من رحمة الله بعباده المؤمنين وتكريمه لأمة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله e أن أوحى لرسوله الأمين بأمارات الساعة وأشراطها ومقدماتها ليستعد لها المؤمنون الصادقون بتدارك الوقوع في أخطارها وانحرافاتها عن علم ووعي وحذر؛ وباتباعهم لطريق الهداية والنور المبين فاكتسبوا مرضاة ربهم U واستحقوا البشرى بذلك كما قال جل وعلا عنهم: [وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ] (٦١).

أما من أصر على مواقف الجهل والتقليد الأعمى وإتباع الأهواء الضالة من المشركين المكذبين للساعة

---

(٥٨) أخرجه البخاري ج ١ ص ٢٦ في كتاب العلم .

(٥٩) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ١٥٥ .

(60) من سورة طه آية ١٥ .

(61) من سورة الزمر آية ١٧ – ١٨ .

الذين عطَّلوا حواسهم الفكرية ووقعوا في مهاوي الانحراف والغفلة، فقد أعلن القرآن الكريم استحقاق من كذب بالساعة سعيراً، كما في قوله سبحانه وتعالى: [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ](٦٢).

ثانياً: تؤكد بشارة الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين e في نزول عيسى بن مريم u في آخر الزمان وحكمه بشريعة الإسلام العادلة وإسقاط جميع الشعارات الباطلة على دين الله سبحانه الواحد وهو الإسلام كما قال تعالى: [إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ](٦٣)؛ وهو الدين الذي بعث جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حيث كان يأمرهم بالدعوة إلى توحيد الله جل وعلا وعبادته وحده لا شريك له، فلا يقبل الله من أحد ديناً إلا الإسلام، وإنما حصل اختلاف أهل الكتاب فيما بينهم بالحق الذي جاؤوا به بسبب تحاسدهم وتباغضهم وعبثهم بكتب الله المقدسة، فتفرقوا شيعاً وطوائف متناحرين، ولهذا فقد جاء تنزيه الكتاب القرآن الكريم للمولى العلي القدير الواحد الأحد ممَّا افترى عليه كذباً من أهل الكتاب وبطلاناً من اتخاذه للشريك أو الولد وهو ما يتنافى مع كمال قدرته ووحدانيته وسلطانه في قوله تعالى: [مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (٦٤).

ثالثاً: تبرز في تعداد أشراط الساعة التي حذر الرسول الكريم e أمته من أخطارها أهمية العلم وفضائله وحفظ الأعراض وسلامتها في تقدم الأمم ونهضتها وضمان أمنها واستقرارها وتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة وهي ما بشر به العليم الحكيم جل ثناؤه البشرية جمعاء في شتى أزمانها وأوطانها بقوله: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ

(62) من سورة الأعراف آية ١٧٩ .

(63) من سورة آل عمران آية ١٩ .

(64) من سورة المؤمنون آية ٩١ – ٩٢ .

فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا] (٦٥)، كما أشاد القرآن الكريم بفضل علوم الشريعة الهادية وشمولها لمعالجة متطلبات الحياة الإنسانية جميعها بعلومها النافعة وخيرها العميم في قوله تعالى: [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ] (٦٦).

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. الاهتمام بتربية الأجيال المسلمة على معرفة العلوم الشرعية وفضائلها الإيمانية وآدابها الخلقية مهما كانت تخصصاتهم الدراسية لحمايتهم من خطر الجهل والفسوق والضلال وحتى يكون في المجتمع المسلم الطبيب المخلص والمهندس الصادق والحاكم العادل والمعلم الناصح والموظف الأمين.

٢. الحرص على حماية الناشئة من فتنة النساء من خلال منع الاختلاط والمحافظة على حجاب المرأة وتشجيع الزواج وتسهيل إجراءاته للشباب والشابات.

٣. الثقة بنصر الله لدينه الحق وقيام دولة الإسلام العالمية التي يحكم نبي الله عيسى u بشريعة الإسلام العادلة ويزيل بنفسه كل مظاهر الشرك والانحراف والفساد، والبعد عن القنوط واليأس في مواجهة حملات الصليبية الحاقدة والصهيونية الجائرة على دين الإسلام.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب اهتمام كل مسلم ومسلمة في الدعوة إلى الله ونشر مباديء الدين الحنيف للحد من خطر ظاهرة الجهل والمعاصي.

٢. السعي لتزكية النفوس المسلمة بأداء الطاعات وتلاوة القرآن وصيانتها من ارتكاب المنكرات.

٣. الاستعداد الدائم بالتقوى والعمل الصالح لدرء مخاطر الساعة التي قد تقع فجأة بين عشية وضحاها.

أسئلة الدرس:

١. ما هي فائدة تعلم العلوم الشرعية على الخصوص ؟

٢. ما هو الطريق لحماية النفس من أخطار الساعة ؟

٣. لماذا حذرنا الرسول الهادي e من أخطار الساعة ؟

---

(65) من سورة النساء آية ١٧٤ – ١٧٥ .

(66) من سورة النحل آية ٨٩ .

المبحث الخامس عشر

الشروع بالأذان للصلاة

التفكير في اتخاذ بوق أو ناقوس للدعوة للصلاة: قال ابن إسحاق: (لما أطمأن رسول الله e بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار واستحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام والحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم، وقد كان رسول الله e حين قَدِمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فهمَّ رسول الله e حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فنحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة)[٦٧].

رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان وتكليف بلال بالأذان: قال ابن إسحاق: (فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبد الله بن زيد النداء، فأتى رسول الله e فقال له: يا رسول الله إني طاف بي هذه الليلة طائف: مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله: أتبيع هذا الناقوس ؟ قال: وما تصنع به ؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت: وماهو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله؛ فلما أخبر بها رسول الله e قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته، خرج إلى رسول الله e وهو يَجر ردائه ويقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله e : فلله الحمد على ذلك) [٦٨].

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: تبرز أهمية الأذان في حاجته الماسة لإبلاغ المصلين بدخول الوقت ثم حضور الصلاة مع الجماعة، وكان المسلمون يجتمعون للصلاة عند مواعيدها من تلقاء أنفسهم من غير نداء ودعوة، ولكن الرسول e أراد إبلاغ الناس ودعوتهم الجهرية للصلاة باستخدام آلة كالبوق الذي يستخدمه اليهود والنصارى

(67) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص ٥٠٨ – ٥٠٩ .

(68) نفس المصدر السابق .

في ذلك وفي امثاله، وأشار البعض إلى رفع الصوت بالنداء للصلاة فقبله الرسول e وكان أحد المنادين للصلاة عبد الله بن زيد الأنصاري t .

ثانياً: وقد جاء التوجيه الرباني من خلال تلقين الملائكة للصحابي الجليل عبد الله بن زيد الأنصاري بصيغة الأذان الشرعي الخاص بالمسلمين، وقد سارع هذا الصحابي بإخباره بهذه الرؤيا التي قال عنها رسول الله e إنها رؤيا حق إن شاء الله، وقد اقترنت هذه الرؤيا الحق برؤيا مماثلة لعمر بن الخطاب t لتوثق مشروعية الأذان وصيغته المباركة فحمد الرسول الأمين e ربه على فضله ورعايته، وأمر e بلالاً الحبشي t ليؤذن هذا الأذان وفق ما رآه عبد الله بن زيد، وبذلك ارتفع الأذان لأول مرة في هذه الصيغة بصوت ندي مؤثر.

ثالثاً: لقد تضمنت صيغة الأذان كما تعلمه الصحابي عبد الله بن زيد في الرؤيا وعرضه على الرسول e ونال موافقته عليه وكلف من يبدأ الأذان به أهمَّ أركان الإيمان وشعارات التوحيد ومعاني العقيدة الإسلامية للتذكير بها علناً على الملأ ولتثبيت مبادئها في نفوس المسلمين وللرد على المشركين في كل زمان ومكان وذلك بدءاً من الثناء عل الخالق جل وعلا وتعظيمه والإعلان عنه أنه أكبر من كل كبير في هذا الكون لأنهم مخلوقات له وعبيد له يتصرف بهم كيف يشاء، ثم يليها إعلان الشهادتين الإيمانيتين التي يؤمن بها المسلم في وحدانية الله تبارك وتعالى لا شريك له وبالتصديق ببعثة رسوله الأمين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، ثم ينادى في هذا الأذان لحضور الصلاة في وقتها الذي يحقق الفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة، وفي ختام الأذان تأكيد على تعظيم الله بالتكبير وكلمة التوحيد، ولأهمية هذه المعاني التي تضمنها الأذان وواجب استيعاب معانيه الإيمانية ودروسها العقائدية ولترسيخها في نفوس المسلمين فقد جاء أمر الرسول الهادي e للإصغاء لعبارات الأذان وتكرار ما يقوله المؤذن، فعن أبي سعيد الخدري t أن رسول الله e قال: (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن) [٦٩] كما أمره أن يتوجه إلى ربه بالدعاء عقب انتهاء الأذان لتكريم الرسول الهادي e بما وعده ربه من المقام المحمود والفضائل العظمى ليفوز بالشفاعة يوم القيامة، فعن جابر بن عبد الله t أن رسول الله e قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) [٧٠] .

---

(69) أخرجه البخاري ج ١ ص ١١٥ في باب بدء الأذان .

(70) نفس المصدر السابق .

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. رسالة الأذان ليست مقتصرة على الدعوة لحضور الصلاة ودخول وقتها بل هي أيضاً تبليغ لأصول العقيدة ومعانيها العظيمة ممَّا يستوجب على كل مسلم الاستجابة للنداء بحضور الصلاة وتثبيت المعاني الإيمانية في قلبه وتكرارها على لسانه للفوز بالفلاح بعون الله تعالى.

٢. الحذر من الانشغال بالكلام مع الغير خلال الأذان ووجوب الإصغاء مع السكوت تعظيماً لهذا الشعار الإيماني ومعانيه الكريمة.

٣. الامتناع الحازم عن تقليد أحد من أهل الكتاب في شعاراتهم وما يخصهم من الطقوس والأزياء.

أسئلة الدرس:

١. تكليف عدد من الطلاب بالأذان لتعلمه والقيام به عند دعوته لذلك.

٢. هل يقتصر الأذان على الدعوة إلى حضور الصلاة ؟

٣. ماذا تقول من دعاء بعد انتهاء سماعك للأذان ؟

المبحث السادس عشر

تحذيره e من أخطار الفتن المقبلة

خوفه e من فتنة تسلط الأعداء على أمته: عن ثوبان t قال: قال رسول الله e : (إن الله زوى لي الأرضَ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بِسنة عامة(٧١) وأن لا يسلط عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بِسنةٍ عامة وأن لا أسلط عدواً سوى من أنفسهم يَستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً) (٧٢).

توجيهه e لأمته باجتناب هذه الفتن: عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : (ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشرف لها تَستشرفه، فمن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليعذ به)(٧٣).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد اشتمل حديث ثوبان t الذي نقله عن رسول الله e على بشائر عظيمة وذكر انتشاراً واسعاً للأمة الإسلامية الكبيرة التي شملت أغلب سكان العالم وبامتلاكها للكنوز الثمينة من الذهب والفضة وينابيع البترول في الأراضي التي احتلتها وأقامت فيها، وهذه معجزة عظيمة لخاتم الأنبياء والمرسلين e يطلعه الله على مشارق الأرض ومغاربها ويبشر بها أمته e ليدخل السرور إلى قلوبها بنصر الله وتكريمه لها كما يدعوا لها بالخير والرعاية والحفظ من الأعداء.

ثانياً: والرسول الكريم ذو القلب الرحيم قد خاف على أمته أن يهلكها أعداؤها ويحتلوا أرضها ويمتلكوا خيراتها فتوجه إلى ربه تبارك وتعاى بالدعاء الخاشع ليحفظ أمته من تسلط الأعداء عليها أو يهلكها في كارثة قحط عامة وقد استجاب جل وعلا لدعاء الرسول الأمين المبعوث رحمة للعالمين e بأن لا يهلك الأمة الإسلامية في قحط عام ولا يسلط عليها أحداً من الأعداء من غير أنفسها مهما عظمت قدراتهم واشتد خطرهم، ولكن خطر الهلاك الذي سيحل بأمة الإسلام يأتي من أبنائها فيظلم بعضهم

---

(71) سِنةً عامة: كارثة عامة كالقحط العام .

(72) رواه مسلم ج ١٨ ص ١٣ .

(73) رواه البخاري في كتاب الفتن رقم ٧٠٨٢ .

بعضاً ويسيطر القوي على الضعيف وينهب أموالها وتثور الفتن فيما بينهم؛ وقد أشار القرآن الكريم تأييده لهذا الموقف من حماية الله للمؤمنين من عدوان الكافرين في قوله تبارك وتعالى: [وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا] (٧٤) فلا يتمكن الكافرون من التسلط على المؤمنين التسلط الكامل أو الدائم الذي يؤدي إلى استئصالهم، ولو حصل للكافرين ظفر في بعض الأوقات ببعض المسلمين فإن العاقبة بالفرج والنصر للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وقد بشر الرسول الصادق الأمين e أمته قرب قيام الساعة بتغلب المسلمين على اليهود الغاصبين حتى يختبئ اليهودي خوفاً على نفسه وراء الحجر أو الشجر دون أن يتحقق له النجاة، فعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، وحتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) (٧٥).

ثالثاً: وقد أرشد الرسول الهادي ذو القلب الرحيم e أمته عند حضور هذه الفتن الخطيرة باجتناب الخوض فيها أو إثارتها واللجوء إلى مأمن يحفظ بها المؤمن نفسه وأهله من شرورها، وقد أورد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان t حديثاً مفصلاً لإجابة الرسول الهادي e لأسئلته حول وقائع الشر المرتقبة وكيفية الخلاص منها، فعن حذيفة بن اليمان t قال: (كان الناس يسألون رسول الله e عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟، قال: نعم وفيه دخَنٌ، قلت: وما دخَنه، قال: قوم يهدون بغير هديٍ تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صِفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يُدركَك الموت وأنت على ذلك) (٧٦).

---

(74) من سورة النساء آية ١٤١ .

(75) متفق عليه .

(76) رواه البخاري في كتاب الفتن ج ٤ ص ٢٢٥ .

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. الفتن الداخلية التي تثور بين المسلمين أشد خطراً على مستقبلهم لأنها تفرق جماعتهم وتضعف قدراتهم وتثير البغضاء والأحقاد في نفوسهم.

٢. لا خطر على الأمة الإسلامية من عدوها الخارجي لأن الله يدافع عن الذين آمنوا ومع ذلك فالاستعداد بالقوة والوحدة مطلوب في كل زمان.

٣. وجوب العمل على جمع الكلمة بين المسلمين والتعامل بالتي هي أحسن وبالصبر وبالحكمة لدفع أية فتنة داخلية تهدد دماءهم وتحطم ممتلكاتهم.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. أن يحرص كل مسلم ومسلمة على فعل المعروف وتوثيق معاني الأخوة الصادقة.

٢. اللجوء إلى المصالحة والتحكيم عند وجود أي خلافٍ بين المسلمين.

٣. التحذير المستمر من أخطار الفتن المتوقعة والتعريف بالحماية منها.

أسئلة الدرس:

١. متى ينصرنا الله ويدافع عنا ؟

٢. ما هي وصية الرسول المربي من اجتناب الفتن ؟

٣. ما هو خطر الفتنة ؟

المبحث السابع عشر

الحوار الإيماني الصادق مع قائد الدعوة e

أسئلة صريحة تؤدي الإجابة عليها للتصديق بالبعثة: عن أنس بن مالك t قال: (بينما نحن جلوسٌ مع النبي e في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي e متكيٌ بين ظهرانيهم، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال الرجل: ابنَ عبد المطلب فقال له النبي e قد أجبتك، فقال الرجل للنبي: إني سائلك فمشدِّد عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك، فقال: سل ما بدا لك، فقال: أسألك بربك ورب مَن قَبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال: اللهم نعم. فقال: أَنشدكَ بالله: آلله أمرك ان تصلّيَ الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم. قال: أَنشدُك بالله: آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم . قال: أنشدك بالله: آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي e : اللهم نعم. فقال الرجل: آمنتُ بما جئت به وأنا رسولُ من ورائي من قومي،وأنا ضِمام بنُ ثعلبةَ أخو سعد بن بكر) (٧٧)

ومع حوار جريء مع الرسول القائد e يؤدي إلى إسقاط أصحاب الحق عن عقوبة القصاص: عن أنس بن مالك t : (أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثَنية جارية، فطلبوا الارش، وطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي e فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لاوالذي بعثك بالحق لاتكسر ثنيتها، فقال: (يا أنس كتاب الله القصاص)، فرضى القوم وعفوا، فقال النبي e : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه) (٧٨).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: ما أعظم هذا المشهد الرائع الذي يجلس فيه قائد الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين e في مجلسه بتواضع دون تمييز بمرتبة عالية أو حفاوة خاصة، حتى إذا قدم رجل يريد الدخول على رسول الله e وهو بين قومه لم يتمكن من معرفته إلا بعد السؤال عنه، وقد بدأ الرجل يعرض أسئلته الصريحة التي خشي أن تكون فيها نوع من الإساءة أو الحرج، وما أروع موقف الرسول الداعية e في

(77) رواه البخاري ج ١ ص ٢٢ في كتاب العلم .

(78) رواه البخاري برقم ٢٧٠٣ في كتاب الصفح، والأرش هو تعويض مالي عن قطع احد الأطراف أو الحواس.

حواره اللطيف وإجابته المقنعة في دفع الشبهات التي كانت تدور في نفس الرجل السائل حتى أعلن قناعته بالإجابات الإيمانية الرشيدة التي أكدت له صدق الرسول الأمين في بعثته وبما جاء به من عند ربه جل وعلا، وقد أعلن إسلامه وتعهد بحمل هذه الرسالة الإيمانية الفاضلة إلى بني قومه.

ثانياً: وعقوبة القصاص والدية هي الحكم الإلهي العادل الذي يمنع استمرار المخاصمات وتكرار حوادث الانتقام بسبب قبول الأطراف المتنازعة بالقضاء الإسلامي العادل الذي يحقق للمجتمعات الإسلامية الأمن والسلام، وقد رأينا كيف أن النبي e قد أمر بإيقاع عقوبة القصاص على الربيع بنت النضر بمثل ما أوقعته في الجارية وأصر على إنفاذها مع اعتراض أخيها أنس على ذلك، ولما تأكد لأصحاب الحق العزم على إيقاع العقوبة الشرعية عليها تحركت الشفقة والرحمة في نفوسهم فأعلنوا العفو والصفح.

ثالثاً: وعقوبة القصاص تشريع الهي عادل تجاه من يتعدى على النفس إما بالقتل العمد أو الخطأ، أما مادون ذلك من الأفعال المؤذية كالجروح والإصابات التي تقع على المجني عليه دون أن تؤدي إلى موته وذلك بالقصاص المماثل لفعله الإجرامي، وإذا تعذر إيقاع العقوبة فيدفع المعتدي الدية وهي الأرش كتعويض مادي عن الضرر الحاصل، ولا يملك أحد إسقاط هذه العقوبة عن الجاني إلا بموافقة أصحاب الحقوق المعتدى عليهم بالعفو أو الصلح، وقد شرع القرآن الكريم عقوبة القصاص على الجناية على النفس وما دونها بالعمد أو الخطأ في قوله تبارك وتعالى: [وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] (٧٩).

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. وجوب تحلى العلماء والدعاة والناشئة بخلق التواضع مع الناس والحرص على الاختلاط بهم والتعرف على مصالحهم والإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم لأن ذلك هو الأسلوب العملي لتبادل الثقة وحسن أداء مهمة الدعوة وقبولها.

٢. السعي المستمر للتزود بالعلوم الشرعية للانتفاع بمادتها ومعرفة أحكامها وتعليمها للآخرين وإجراء الحوار النافع معهم.

(79) من سورة المائدة آية ٤٥ .

٣. الامتناع عن المداخلات العلنية أو الخفية لإسقاط عقوبة القصاص أو التخفيف منها لمن يستحق عقوبتها لأن في ذلك تعطيلاً لإقامة الحدود ونشراً للفساد.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. تربية الأجيال الناشئة من طلاب العلم على خلق التواضع والصبر والتسامح والبعد عن العزلة والتكبر والتعالي على الناس.

٢. توثيق الثقة بالتشريع الإسلامي العادل الذي يحقق للمجتمع الأمان والاستقرار في الوقت التي عجزت فيه الأنظمة الوضعية عن منع الجرائم والمفاسد.

٣. توعية المسلمين بالعقوبات الجنائية في شرع الله المحكم لتكون دائماً رادعاً لهم عن الإقدام على العدوان وضابطاً لسلوكهم.

أسئلة الدرس:

١. ما معنى عقوبة القصاص ؟

٢. هل يحق للحاكم تخفيف عقوبة القصاص وإسقاطها دون موافقة أصحاب الحقوق ؟

٣. ماذا يتحقق للمجتمع عند تطبيقه لعقوبة القصاص ؟

المبحث الثامن عشر

بناء المسجد النبوي مركزاً للهداية المشرقة إلى يوم الدين

اختيار مكان المسجد النبوي حيث مبرك الناقة: قال ابن إسحاق: (أقام رسول الله e بقباء في بني عمرو بن عوف أربعة أيام وأسس فيه مسجده ثم أخرجه الله من بين أظهرهم، وقد أتاه رجال من بني سالم بن عوف بعد أن صلى عندهم الجمعة وقالوا له: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعُدة والمَنعة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، لناقته، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاها رجال منهم فقالوا: يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة، قالوا: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها حتى إذا مرت بدار بني ساعدة ثم بدار بني الحارث بن الخزرج ثم مرت بدار عدي بن النجار، وكلهم يَعترضُونه ويدعونه والرسول e يقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على مسجده e وهو يومئذ مِربد لغلامين يتيمين من بني النجار، فلما بركت ورسول الله e عليها لم يترل وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله e واضع لها زمامها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، فترل عنها رسول الله e، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله e، وسأل عن المربد لمن هو، فقال معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فتأخذه مسجداً) (٨٠).

بناء مسجد المدينة والخطبة فيه: أمر رسول الله e أن يُبنى مسجداً ونزل رسول الله e على أبو أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، وعمل فيه رسول الله e ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العملُ المضلِّل

فارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فيقول رسول الله e:

(٨٠) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام ص ٤٩٤ .

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار

وقد أقام رسول الله e بالمدينة حتى بُني له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، وكانت أول خطبة خطبها رسول الله e بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تَعلَّمنَّ والله لَيُصْفعَنَّ أحدكم ثم لَيدعنَّ غنمه ليس لها راع، ثم يقولنَّ له ربه وليس له تَرجمان ولا بحاجبٌ يَحجبُه دونه: ألم يأتِك رسولي فبلَّغك وآتيتك مالاً وافضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك، فلينظُرنَّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لَينظرن قدامه فلا ير غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيِّبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) (٨١).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لمكانة المسجد وفضائل رسالته الإيمانية فقد أثنى القرآن الكريم على من يَعمرون مساجد الله في تشييد بنيانه وإقامة الشعائر الإيمانية فيه في قوله تبارك وتعالى: [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ] (٨٢).

ثانياً: ولأهمية إشادة المساجد في نشر دعوة الله وتطبيق أحكامها وترسيخ الفضائل الإيمانية وتوثيق الصلات الاجتماعية بين أفراد الأمة الإسلامية فقد كان أول عمل قام به رسول الله e هو بناء المسجد لإقامة الصلوات مع الجماعة وتقديم المواعظ والخطبة فيه وحضور مجالس تعليم القرآن الكريم وتجويده وتوضيح معانيه.

ثالثاً: لقد دعا الرسول الهادي e في أول خطبة له في المسجد النبوي الشريف إلى الحرص على فعل الطاعات وأداء العبادات وتعلم العلوم الإيمانية لتكون ذخراً لرواده يوم الحساب وذلك

(٨١) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام قسم أول ص ٥٠٠ .

(٨٢) من سورة التوبة آية ١٨ .

بالإقبال على حضور المساجد التي هي بيوت الله جل وعلا ومنارات الهداية الربانية ودعم المشاعر الإيمانية والخشية القلبية من المولى سبحانه وتعالى.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة والوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب الحرص على إشادة المساجد بمقاصدها الشرعية في إخلاص النية لله واستقاء مرضاته ونيل المثوبة والأجر من الله تعالى وحده والبعد عن السمعة والرياء وحب التفاخر بالنفوس والزخارف التي تصرف فيها الأموال من غير حاجة وبدون إخلاص النية.
٢. وجوب تعاون المسلمين في كل بلدة أو قرية أو حي لبناء المساجد والسعي لانتشارها لإقامة شعائر الله فيها ولتكون قريبة من مساكن المسلمين وأماكن أعمالهم والعمل على بنائها باستخدام المواد التي تضمن لها القوة والأمن والاستقرار لحماية المصلين فيها.
٣. الدعوة إلى إعمار بيوت الله في حضور الجماعات والجمع وحضور مجالس العلم والقرآن وتذكير المتخلفين من الأقارب والأصدقاء بفضائل حضور المساجد والانتفاع برسالته الإيمانية.

أسئلة الدرس:

١. هل تصلي الصلوات الخمس في المسجد ؟
٢. ماذا تلمس من مشاعر في حضورك للمسجد ؟
٣. هل تسعى لدعوة إخوانك وأصدقائك للحضور إلى المسجد ؟

المبحث التاسع عشر

بناء مسجد الضرار للتفريق بين المؤمنين

بناء مسجد الضرار: ذكر ابن كثير عند تفسيره للآية ١٠٧ – ١٠٨ من سورة التوبة تفصيلاً حول مسجد الضرار (بأنه كان في المدينة قبل مقدم رسول الله e رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب كان قد تنصر في الجاهلية وله شرف بين قومه، فلما قدم رسول الله e مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون إليه وصارت للإسلام كلمة عالية اظهر العداوة لرسول الله e وخرج فاراً إلى كفار مكة يدعوهم إلى حرب الرسول e فاجتمعوا بمن وافقهم من أحبار العرب وقدموا عام أحد وما تعرض له المسلمون من المـــحنة ثم كان العاقبة للمتقين، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر مابين بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله e أصيب في ذلك فجرح وجهه وكسرت رباعيته وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، واستمال قومه إلى نصره وموافقته فنالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رسول الله e قد دعاه إلى الله قبل فراره فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله e أن يموت مبيداً طريداً فنالته هذه الدعوة، فلما رأى أمر رسول الله e في الظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي e فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يمنيهم بأنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله e ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك) [٨٣].

عصمة الرسول الأمين e من الصلاة في مسجد الضرار: وبعد أن شرعوا في بنائه مجاوراً لمسجد قباء وبنَوه وأحكموا بناءه جاءوا إلى رسول الله e قبل خروجه إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الماطرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: (إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه) فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله e مالكَ بن الدخشم ومَعنَ بن عدي فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه واحرقاه فخرجا سريعين ودخل مالك على أهله

(٨٣) من تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية: ١٠٧ – ١٠٨ .

وأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرّقاه وهدماه وتفرقوا عنه؛ ونزل فيه قول الله تعالى: [وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ] (٨٤).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: يشكل بناء مسجد الضرار من قبل المنافقين أسلوباً فاضحاً لمؤامراتهم وصورة لكيدهم ضد رسول الله e وصحبه حيث عمدوا لاتخاذهم مرصداً لهم ومعقلاً لاجتماعاتهم، وقد حاولوا طمس جريمتهم والستر عليها بطلبهم من رسول الله e أن يصلي فيه لإثبات مشروعيته وإقرار سلامة هدفه بحجة أنهم بنوه للضعفاء وأهل العلة ولكن الله جلت قدرته عصمه من الصلاة فيه واكتفى بالوعد حين عودته من سفره.

ثانياً: وبعد عودته e إلى المدينة وأصبح قريباً منها نزل عليه الوحي الإلهي بخبر هذا المسجد وأهدافه الفاسدة في التفريق بين جماعة المسلمين، سارع الرسول الأمين e إلى إعطاء أمره الحازم في هدم هذا المسجد قبل دخوله إلى المدينة، وذلك بعد أن نزل الوحي بقوله تعالى: [وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ...] الآية، فكانت عملية هدم المسجد بعد ورود خبر السماء إليه وثبوت أغراضه الهادمة ليقطع دابر عمليات الفساد والانحراف ويسد أبواب الضلال والشقاق وليحفظ الله مسيرة الدعوة الإسلامية من كل سوء وفتنة.

ثالثاً: تدعو هذه المكيدة الصادرة عن عدد من المنافقين إلى اليقظة والحذر من أمثال هؤلاء المنافقين في كل زمان ومكان لتشابه مواقفهم وسوء تصرفاتهم وخبث أغراضهم في محاربة الله

(٨٤) من تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية: ١٠٧ – ١٠٨.

والرسول وعرقلة مسيرة الدعوة الإسلامية والسعي لإضعاف قوة المسلمين ووحدتهم، مع العمل على دقة مراقبتهم لكشف تصرفاتهم لـــمحاسبتهم وتطبيق حكم الشريعة بحقهم.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. اجتناب الحكم على أحد أو شخص بالنفاق لـــمجرد خبر أو إشاعة قبل التثبت والوثوق وهو ما أوصى به القرآن الكريم في قولـــه تبارك وتعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ] (٨٥).

٢. وجوب اتخاذ مواقف الـــمحاربة للمنافقين بإشراف القيادة المؤمنة من أولي الأمر والبعد عن المشاحنات الفردية والاتهامات السريعة.

٣. الحرص على صحبة العلماء الصالحين والبعد عن الدعاة المشكوك في تصرفاتهم وإخلاصهم حتى لا يتورط أحد بالسير مع المنافقين.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. من أهم الدعوات التوجيهية للأمة الحذر من أخطار النفاق وإظهار ما لا يبطن من المقاصد السيئة.

٢. تقديم النصح والإرشاد لكل من يظهر عليه مواقف مشبوهة أو صحبة فاسدة.

٣. السعي لمناقشة من يقوم عن جهل وتقليد لأعمال المنافقين التي تهدم صحة الإيمان وتسوق إلى عذاب جهنم.

أسئلة الدرس:

١. ما معنى النفاق ومثالاً لمواقف المنافقين ؟

٢. ما هي أخطار المنافقين على مسيرة الدعوة ووحدة الأمة ؟

٣. حاول البعد عن صحبة العناصر المشبوهة التي تضر بالأمة ودينها، وهل لك تجربة معها ؟

---

(٨٥) من سورة الحجرات آية ٦ .

المبحث العشرون

لجوء الرسول الداعية e إلى صلاة الاستسقاء عند الجدب

دعاؤه e للاستسقاء وهو على المنبر: عن أنس بن مالك t (أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وُجاه المنبر، ورسول الله e قائم يخطب، فاستقبل رسول الله e قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السُّبُل فادْع الله يُغيثُنا، قال فرفع رسول الله e يَديه فقال: اللهم اسْقِنا اللهم اسْقِنا اللهم اسْقِنا، قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعة(٨٦)ولا شيئاً، ومابيننا وبين سَلعٍ من بيت ولا دار، قال فَطلعتْ من ورائه سحابةٌ مثلُ التُّرس فلما توسطت السماء انقشرت ثم أمطرت، قال والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله e قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وَانقطعت السُّبل فادعُ الله يُمسكها، قال فرفع رسول الله e يَديه ثم قال: اللهم حَوالَينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال والظراب(٨٧)وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس) (٨٨).

صلاة الاستسقاء وقلب الرداء: عن عباد بن تميم عن عمه رضي الله تعالى عنهما قال: (خرج النبي e إلى المصلى يستسقي واستقبل القبلة، فصلى ركعتين وقلَبَ رِداءَه) (٨٩).

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد استسقى الرسول الهادي والمبعوث رحمة للعالمين على عدة وجوه فكان منها يوم الجمعة وهو على المنبر من غير صلاة ومنها خروجه إلى المصلى يستسقي فيصلي ركعتين ويقلب رداءه كما أورده البخاري في الحديثين السابقين ومنها (انه استسقى رسول الله e على منبر

(٨٦) قَزَعة هي قطعة من السحاب رقيقة .

(٨٧) الظراب: الجبال الصغار .

(٨٨) رواه البخاري في كتاب الجمعة ج ١ ص ١٧٩ .

(٨٩) رواه البخاري في كتاب الجمعة ج ١ ص ١٨٢ .

المدينة استسقاءً مجرداً من غير جمعة و لم يحفظ عنه بعده صلاة) [٩٠] وأنه أيضاً (استسقى وهو جالس في المسجد فرفع يديه بالدعاء وانه استسقى خارج باب المسجد عند باب السلام كما استسقى في بعض غزواته لما أصاب المسلمين العطش وسبقه المشركون إلى الماء وقال عندها المنافقون لو كان نبياً لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فلما بلغ ذلك النبي e بسط يديه بالدعاء حتى أظلهم السحاب وأُمطروا فشرب الناس وارتَووا) [٩١]، وقد اورد سهل بن سعد حديثاً عن النبي e في قوله: (الدعاء لا يرد عند النواء وعند البأس وتحت المطر) [٩٢].

ثانياً: اهتمام الرسول القائد e بمعالجة الأوضاع المتردية وخاصة حالات الفقر والقحط بالتوجه إلى ربه جل وعلا بالدعاء القلبي الخاشع يدعو كل قائد وإمام وأمير إلى وجوب الاهتمام برعاية مصالح الأمة العامة والسعي بمعالجتها ودرء الأخطار عنها بمختلف الوسائل وفي مقدمتها التوجه إلى المنعم الخالق رب العالمين جل وعلا بالدعاء القلبي لرفع الغم وإزالة الكرب وتحقيق الفرج فهو ولي الذين آمنوا وما النصر إلا من عنده وهو نعم المولى ونعم النصير، وقد وعد الله جل وعلا عباده المؤمنين بإجابة الدعاء القلبي الخالص بما يزيل من نفسه الهموم والكروب ويبعث على الطمأنينة والأمان ويفوز به بمرضاة ربه الغفور الرحيم فقال تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ][٩٣].

ثالثاً: ولعظيم فضل الله جل وعلا على عباده في تأمين المياه وتوفيرها لجميع مخلوقاته وإظهاراً لرحمته U بهم فقد تحدى سبحانه وتعالى المشركين الجاحدين لفضله وكرمه في إثبات عجزهم عن توفير المياه إذا غارت في الأرض وأنه U وحده القادر على تأمين ما يحتاج إليه المخلوقات جميعاً بمنّه وكرمه، فلله وحده المنة والثناء، فقال تبارك وتعالى: [قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ

(٩٠) رواه ابن ماجه في الدعاء في الاستسقاء رقم ١٢٧٠ .

(٩١) رواه أبو داود في الصلاة رقم ١١٦٩/ ١١٦٨/ ١١٧٦ .

(٩٢) رواه أبو داود في الجهاد رقم ٢٥٤٠ .

(٩٣) من سورة البقرة آية ١٨٦ .

يأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ] (٩٤).

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. وجوب شكر الخالق المنعم وتقدير فضله وكرمه في توفير المياه في كل مكان على وجه الأرض بما يضمن استمرار الحياة وتأمين الاحتياجات وطهارة البدن والثوب والمكان.
٢. دعوة القيادات والمديرين على مختلف مراتبهم للقيام بمسؤلياتهم في التعرف على المشكلات والمصالح التي تحتاج إليها الطبقات الشعبية وما يشكون منه، مع مشاركتهم في مشاعرهم وهمومهم في سرعة المعالجة بالرحمة والحكمة والاستعانة بالدعاء.
٣. وجوب المشاركة العامة من المسلمين في أداء صلاة الاستسقاء التي تقام في بيوت الله عند الدعوة إليها في وقت الحاجة ممَّا يعود عليهم في توثيق الصلة بربهم في طلب الاستجابة والاهتمام بالشعور العام للأمة واكتساب الأجر والمثوبة من ذلك.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. المشاركة في صلاة الاستسقاء الجماعية هو تعبير عن الشعور المشترك بالمسؤولية وأداء الواجب عند الجدب أو المصائب.
٢. الانتفاع بفضائل الدعاء التي يدعو أمام المسجد بها في صلاة الاستسقاء مع جموع المصلين في قلوب خاشعة وعيون دامعة.
٣. تذكير الأصدقاء والأقارب بهذه المشاركة المباركة واصطحاب افراد الأسرة جميعاً إليها للأغاثة والرحمة من الله تعالى.

أسئلة الدرس:

١. متى تقام صلاة الاستسقاء ؟
٢. ما صيغة الدعاء في صلاة الاستسقاء ؟
٣. احرص على شكر المنعم وحمده عند كل استعمال للمياه.

(٩٤) من سورة الملك آية ٣٠ .

المبحث الحادي والعشرون

انتصار القلة المؤمنة في غزوة بدر الكبرى

ندب المسلمين لمواجهة عير قريش وحذر أبي سفيان من ذلك: قال ابن إسحاق: (لما سمع رسول الله e بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم قائلاً: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها(٩٥)، فانتدب الناس فخفَّ بعضُهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله e يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك، فاستأجر ضَمضمَ بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة وقد تجهز الناس سراعاً، وكانوا بين رجلين إما خارجٍ وإما باعثٍ مكانه رجلاً و لم يتخلف من أشراف قريش أحد) (٩٦).

مناشدة الرسول e ربه أعقبها شهود الملائكة في وقعة بدر: قال ابن إسحاق: (ثم عدَّل رسول الله e الصفوفَ ورجع إلى العريش فدخله ودخل معه أبو بكر الصديق ليس معه فيه غيره، ورسول الله e يناشد ربَّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابةُ اليوم لا تُعبد؛ وأبو بكر يقول: يا نبيَّ الله بعض مناشدتك ربَّك فإن الله منجزٌ لك ما وعدك، وقد غفل رسول الله e في نومه قليلاً ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده. ثم خرج رسول الله e إلى الناس فحرَّضهم وقال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، فقال عُمير بن الحُمام وفي يده تمرات يأكلهن: بَخٍ بَخْ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل) (٩٧).

---

(٩٥) يعني أن يمنحكم الله من الغنائم والأنفال .

(٩٦) من السيرة النبوية ج ١ ص ٦٠٧ ـ ٦٠٩ .

(٩٧) من السيرة النبوية ج ١ ص ٦٢٧ .

كما ذكر ابن إسحاق عن شهود الملائكة وقعة بدر (أن مالك بن ربيعة وكان شهد بدراً قال بعد أن ذهب بصره، لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأرينكم الشِعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى كما ذكر أبو داود المازني وكان شهد بدراً أيضاً في قوله: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه. إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفتُ أنه قد قتله غيري. كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن سيما الملائكة يوم بدر كانت عمائم بيضاء قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمراً، وقال أيضاً: إن الملائكة لم تقاتل في يومٍ سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يَضربون) (٩٨).

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: تعتبر غزوة بدر الكبرى أعظم الوقائع الحربية الحاسمة التي تغلب فيها الحق على الباطل وأعز الله بها الإسلام ودحر بها جموع الكفار، إذ كانت ضربة قوية لأعداء الإسلام وقهراً لهم من الجوانب القتالية والاقتصادية، وكان سبب هذه الغزوة أن الرسول القائد e قد أبدى ضرورة مواجهة عير قريش القادمة من بلاد الشام بصحبة أبي سفيان وهي تحمل الأموال الكثيرة لقريش إظهاراً لقوة المسلمين ودحراً للمشركين، وعندما سمع أبو سفيان بذلك استصرخ قريشاً بالنفير إلى عيره ونهض أهل مكة مسرعين وحشدوا من حولهم من القبائل، وبلغ رسول الله e خروج قريش استشار أصحابه فكان جواب المهاجرين والأنصار الخروج لمواجهة قريش بكل حماس ورغبة وما أعظم قول سعد بن معاذ سيد الأنصار: (يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك. فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبرُ في الحرب صدُق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك، فسر على بركة الله) (٩٩).

ثانياً: لقد اعتمد الرسول القائد e في مواجهة أعدائه على اللجوء إلى ربه بالدعاء والتضرع وخاصة عندما حمي الوطيس واشتد القتال حتى جعل أبو بكر t يصلح رداء رسول الله e حتى لا

(٩٨) من السيرة النبوية ج ١ ص ٦٣٣ .

(٩٩) من السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٢ .

يسقط عن منكبيه وهو يستغيث ربه حتى استجاب له دعاءه فذلك قولـــه تعالى: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ] (١٠٠).

ثالثاً: لقد رجع رسول الله e بعد هذه المعركة إلى المدينة منصوراً ودخل في دين الله أعداد كثيرة من أهل المدينة خوفاً على أنفسهم ثم تبعهم جماعة من المنافقين للدخول بالإسلام وحسن إسلامهم فيما بعد.

ومع المواعظ والعبر من هذه السيرة النبوية العطرة:

١. لقد كان موقف الرسول القائد e حكيماً في دعوته لمواجهة المشركين بالبدء باستشارتهم ومعرفة مواقف القبائل من المشاركة في مواجهة الأعداء فلقي استجابة مباركة من المهاجرين والأنصار معاً.
٢. وجوب لجوء القيادة في شتى مواقفها إلى الدعاء والاستقامة فهو أعظم سلاح للمؤمنين في مواجهة أعدائهم مهما أشتد طغيانهم.
٣. واجب المسلمين طاعة قياداتهم المؤمنة أيام السلم والحرب لأنها مظهر قوة لهم وفيها التكاتف بين المؤمنين.

ومع الوصايا التربوية من معاني هذه الأحاديث النبوية:

١. ضرورة استشارة القائد للمقاتلين معه والتعرف على مواقفهم.
٢. واجب المسلم اللجوء إلى الدعاء في كل الأحوال.
٣. الحذر من تفرقة الصفوف والتمرد على القيادة.

أسئلة الدرس:

١. لماذا استشار القائد الرسول جنوده ؟
٢. ما هو أعظم سلاح المؤمن في مواجهة الأعداء ؟
٣. ما معنى الوحدة قوة والتفرقة ضعف ؟

(١٠٠) من سورة الأنفال آية ٩ .

المبحث الثاني والعشرين

في غزوة أحد رعاية الله للمجاهدين الصابرين ومعالجة للمتخاذلين

تحريض كفار قريش على غزو الرسول ومشاورته في الخروج أو البقاء: قال ابن إسحاق (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع كلهُّم إلى مكة كلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وتَركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا. فخرجت قريش بحدِّها وجدِّها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم النساء في الهوادج وخرج أبو سفيان وهو قائد الناس، فلما سمع بهم رسول الله e والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله e (رأيت بقراً لي تذبح ؟ فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثعم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتل) وشاور الرسول e قومه بالخروج أو البقاء، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رسول الله e يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبَّنا عنهم وصَففنا، وقال عبد الله بن أبيّ بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، فلم يزل الناس برسول الله e الذين كان من أمرهم حبُّ لقاء القوم حتى دخل رسول الله e بيته فلبس لأمته، وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسولَ الله e، قالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت أن نمكث؛ فقال رسول الله e: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأْمَتَهُ أن يضعها حتى يقاتل، فخرج رسول الله e في ألف من أصحابه) [(١٠١)].

ما أنزل الله من القرآن يوم أحد وهو يوم محنة: قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه وهو مستخفٍ بالكفر في قلبه، يوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، فكان ممَّا أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران فيها صفة ماكان في يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم؛ من

(١٠١) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام القسم الثاني ص ٦٠ .

ذلك قول الله تبارك وتعالى لنبيه e : [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] [١٠٢] وقد نزلت هذه الآية في حق المتخاذلين من بني سلة من الخزرج وبني حارثة من الأوس، وذلك أنما كان منها عن ضعف ووهن أصابها من غير شك في دينها، فتولى الله دفع ذلك عنهما برحمته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ولحقا بنبيهما e ودعاهم للتوكل على الله بها مذكراً إياهم بأن النصر من عند الله كما نصرهم ببدر وهم قلة كما يدعوهم إلى تقوى الله وشكر نعمته. وقد ذكر ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية ما حل من التخاذل في غزوة أحد أن عبد الله بن أبيّ رجع بثلث الجيش مغضباً لكونه لم يرجع إلى قوله وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالاً لاتبعناكم، واستمر رسول الله e سائراً حتى نزل الشعب من أحد في الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال: لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وهم خمسون رجلاً وقال لهم: انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، ثم حصل ما هو معروف من تسابق الرماة على الغنائم وترك مواقعهم.

! ! ! !

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد دعا الرسول القائد e للتشاور في أمور المعركة وهي ممَّا يتطلب أخذ الرأي فيها والاستفادة من أهل الخبرة والمعرفة ثم ترجمة ذلك لخوض المعركة والخروج إلى الأعداء لما فيه من مظاهر القوة والحزم والبعد عن إرادة الخوف والضعف بعد أن استعد الأعداء لمقاتلتهم، وكان لالتزام المسلمين لأمر قائدهم e سبباً في نصرة الله للمؤمنين وهزيمة أعدائهم.

ثانياً: كشف المنافقون المشاركون في هذه المعركة عن تخاذلهم للقيادة بذريعة واهية وهي عدم أخذ الرسول القائد e برأيهم في عدم الخروج للقتال وأخذ برأي الآخرين دونهم، فكان لهم دور في الهزيمة أمام الأعداء ممَّا يدعو إلى اتخاذ مواقف الحيطة والحذر في التفريق بين المؤمنين الصادقين والمنافقين ذوي

(١٠٢) من سورة آل عمران آية ١٢٠ – ١٢٣ .

الأهواء والأغراض، مع البعد عن الاعتماد عليهم والركون إلى مواقفهم الظاهرة.

ثالثاً: لقد جاءت توصية الرسول القائد e بعد وضع خطة القتال وتنظيم الصفوف فمن أجنحة وقيادة وضع الرماة على ظهر الجبل لحماية المسلمين بتوجيه رباني حكيم لنبيه الكريم الذي لا ينطق عن الهوى ولتقدم للأمة المسلمة عبر عصورها القادمة درساً تطبيقياً وشاهداً عملياً على وجوب الطاعة وانفاذ أوامر القيادة، وعلى اجتناب التصرفات الخاصة التي تفرق الجماعة مهما كانت الدوافع لها.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. دعوة القيادة والأمة للمشاركة الفعلة في تقديم المشورة والنصح في الأمور التي تحتاج إلى خبرة ومعرفة.

٢. من أعظم أسباب النصر للمؤمنين وهزيمة أعدائهم هو التفاف المؤمنين حول القيادة المؤمنة وطاعة أوامرها وتوصياتها.

٣. الحذر الدائم في كل زمان ومكان من تحركات المنافقين المشبوهة التي تسعى للفساد في الأرض بدوافع المصالح الشخصية.

أسئلة الدرس:

١. لماذا خالف الرماة أوامر قيادتهم ؟

٢. لماذا يـــحرص المقاتل المؤمن على الطاعة ؟

٣. ما هي أغراض المنافقين في التمرد على القيادة ؟

المبحث الثالث والعشرون

غزوة الخندق لمواجهة جموع الأحزاب

تحريض اليهود لقريش للدعوة إلى حرب الرسول e: عن محمد بن إسحاق: (إنه من حديث الخندق أن نفراً من اليهود هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله e، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله e، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نَستأْصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأوَّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أَفَدِينُنا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: [أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ[١٠٣] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾] إلى قوله تعالى: [أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا][١٠٤].فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دَعوهم إليه من حرب رسول الله e، فاجتمعوا لذلك، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت عطفان وقائدها عُيينةُ بن حصن مع عدد من القبائل الأخرى) [١٠٥].

حفر الخندق واستعداد المؤمنين وتخاذل المنافقين: عن محمد بن إسحاق: (لما سمع بهم رسول الله e وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله e ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله e وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين وجعلوا يستترون بالضعيف من العمل ويتسلَّلون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله e ولا أذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة

(١٠٣) الجبت والطاغوت: كل مايعبد من دون الله.

(١٠٤) من سورة النساء أية: ٥١ – ٥٥ .

(١٠٥) من كتاب السيرة النبوية القسم الثاني ص ٢١٤ – ٢١٥ .

التي لابد منها يذكر ذلك لرسول الله e ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذن لـــه، فإذا قضى حاجته رجع إلى ماكان فيه من عمله، رغبةً في الخير واحتساباً لـــه) [١٠٦] فأنزل الله تعالى في أولئك المؤمنين: [إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] [١٠٧] كما أنزل الله تعالى في المنافقين الذين كانوا يتسللون من عملهم دون إذن من النبي e في قولـــه: [لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [١٠٨].

إلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: واجب القيادة الحازمة هو الاستعداد المبكر في وضع الخطة الرشيدة لمواجهة الأعداء وهو ما سارع إليه الرسول القائد e في الأمر بحفر الخندق حول المدينة قبل أن يستكمل الأعداء تجمعاتهم بعد مشاورته لأصحابه كعادته في مثل هذه المواقف الهامة حول اختياره البقاء في المدينة مقيماً فيها يدافع عنها من داخلها أم يخرج إلى خارجها للقاء الجيش الجرار القادم إليها، وقد أشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي t بحفر الخندق كما كان يعمد إليه قومه الفرس حين تخوفها من دخول خيول الأعداء إليها، و لم تكن تعرف العرب مثل ذلك من قبل.

ثانياً: عملية حفر الخندق حول المدينة لمواجهة الأعداء قبل مجيئهم أمر غريب على العرب وإن موافقة الرسول القائد على القيام بهذه العملية مستفيداً من خبرات الغير يرشدنا إلى وجوب التعرف على حضارات الأمم الأخرى وخبرات رجالها العلماء والأخذ بما لديهم من المعارف والعلوم والإنجازات التي لا تخالف العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية.

---

(١٠٦) نفس المصدر السابق ص ٢١٦ .

(١٠٧) من سورة النور آية: ٦٢.

(١٠٨) من سورة النور آية: ٦٣.

ثالثاً: في الوقت الذي يسارع فيه المؤمنون الصادقون إلى الاستجابة الخالصة لدعوة الرسول القائد **e** في المشاركة الجادة في حفر الخندق ويبذلون قصارى جهدهم للاستمرار في عملهم دون انقطاع أو تهرب أو الاستئذان عند الحاجة، ترى المنافقين أمام هذه الدعوة الحازمة يتباطؤون في الأداء متذرعين بحجج واهية ويتسللون إلى أهليهم بغير إذن من الرسول القائد **e** أو يختارون لأنفسهم أعمالاً سهلة وبسيطة للتظاهر الكاذب في هذه المشاركة.

ومع المواعظ والعبر من هذه الدروس النبوية:

١. دين الإسلام هو دين العلم والعمل والحضارة والتقدم فهو لا يشعر بحرج من الاستفادة ممَّا لدى الآخرين ولو كانوا أعداءً أو كفاراً بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية المحكمة.
٢. مهمة القيادة الأولى هي السعي الجاد لوضع الخطط المبكرة واستشارة أهل الحكمة والخبرة وذلك قبل خوض المعركة مع الأعداء.
٣. يهدف المؤمنون الصادقون في استجابتهم إلى طاعة الله ورسوله واكتساب الفضل والمثوبة بينما يحرم المنافقون أنفسهم من هذه الفضائل العظيمة.

ومع الوصايا التربوية المستفادة من هذا الهدي النبوي:

١. وجوب الاختلاط بالأمم الأخرى لتبادل المعارف والخبرات بما لا يمنعه التشريع الإسلامي.
٢. المشورة أمر هام للقيادة والرؤساء قبل الأمر بأي عمل.
٣. وجوب إخلاص النية وصدق الطوية (ما تنطوي عليه النفس) عند الاستجابة لأي عمل مشروع.

أسئلة الدرس:

١. هل تفضل الاختلاط بالأمم الكافرة أم العزلة عنها ؟
٢. هل يُحق الاختلاط بالأمم الأخرى مكاسب دعوية للتعريف بدين الإسلام ؟
٣. ما فوائد الاستشارة العامة في الحالات الهامة ؟

المبحث الرابع والعشرون

صلح الحديبية وبيعة الرضوان

خروج الرسول e عام الحديبية لزيارة البيت لا يريد قتالاً: قال ابن إسحاق: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير قال: (خرج رسول الله **e** عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً، وساق معه الهديَ سبعين بدنةً، وكان الناس سبع مئة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر، وخرج رسول الله **e** حتى إذا كان بِعُسفان لقيه بِشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا ومعهم النساء والأطفال وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً. فقال رسول الله **e**: يا ويح قريش! لقد أكَلتهم الحربُ ماذا عليهم لو خلُّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (يعني صفحة العنق وذلك بالموت)، ثم قال: مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم أنا يا رسول الله. فسلك بهم طريقاً وعراً بين الشعاب تجنباً للقاء قريش، فلما خرجوا وأفضوا إلى أرضٍ سهْلة عند منقطع الوادي قال رسول الله **e** للناس: قولوا نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا ذلك، فقال: والله إنها لَلْحِطَة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها، ويعني اللهم حطَّ عنا ذنوبنا) [١٠٩].

بيعة الرضوان تحت الشجرة: قال ابن إسحاق: (لما بعث **e** عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش ليخبرهم أنه لم يأت لحربٍ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته، فانطلق عثمان حتَّى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله **e** واحتبسْته قريش عندها، فبلغ رسولَ الله **e** والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل فقال: لا نبرح حتى نُناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. ثم بعثت قريش سُهيل بن عمرو إلى رسول الله **e** وقالوا لـــه: إئت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، حتى لا

(١٠٩) من كتاب السيرة النبوية: القسم الثاني ص ٣٠٨ ـ ٣١٠ .

تحدث العرب عنا أنه دخلها عَنْوةً أبداً فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله e تكلَّم فأطال الكلام ثم جرى الصلح بينهما، وكتب على شروط الصلح بطلب من رسول الله e وهو ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو وأشهد على هذا الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هديه فنحره ثم حلق رأسه، فلما رأى الناس أن رسول الله e قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون)[١١٠].

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد كان الباعث على الاستعداد لهذه الغزوة رؤيا رسول الله e في المنام أنه دخل البيت الحرام مع صحابته آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون شيئاً. فأمر الرسول الهادي e للتجهز للخروج بالعمرة إلى مكة المكرمة من غير قتال مع قريش وخرج المسلمون وكلهم شوق إلى زيارة البيت الحرام، وساق e أمامه من الإبل والغنم تعظيماً للبيت بعد أن أحرم بالعمرة من ذي الحليفة، وخرج معه قرابة ألف وخمسمائة لأداء العمرة لا يحملون سلاحاً، فلما سمعت قريش بذلك أقسموا بالله أن لا يدخلها عليهم أبداً، وتابع الرسول وصحبه مسيرهم حتى وصلوا الحديبية حيث جاءه من يسأله عن سبب قدومه، فأخبرهم أنه أتى ليزور البيت ويعتمر ثم عادوا فأخبروا قومهم بذلك، فقالوا: لا والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا يتحدث العرب عنا بذلك.

ثانياً: ثم بدأت خطوات المفاهمة فبعثت قريش عروة بن مسعود ليتحدث لرسول الله e عن سبب خروجه كما بعث الرسول القائد e عثمان بن عفان t إلى أهل مكة ليخبرهم عن الغرض من مجيئه، ولما أبطأ عثمان بالعودة أُشيعَ عن مقتله، فقال الرسول e لا نبرح مكاننا حتى نقاتل القوم ودعا إلى البيعة، فتسابق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلى المبايعة الخالصة التي أشاد القرآن الكريم بفضلها ورعاية الله لها في قوله تبارك وتعالى: [إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا] [١١١] كما أعلن القرآن الكريم عن مرضاة الله سبحانه لأصحاب بيعة الرضوان في قوله جل وعلا:

(١١٠) نفس المصدر السابق ص ٣١٥ – ٣١٩ .

(١١١) من سورة الفتح آية ١٠ .

[۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا](١١٢).

ثالثاً: وقد تحقق بفضل الله وتكريمه لرسوله وللمؤمنين صدق الرؤيا في دخول المسجد الحرام آمنين وحقق بعده فتح مكة، وقد تحدث القرآن الكريم هذا الفضل العظيم في قوله تبارك وتعالى: [لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا](١١٣).

ومع المواعظ والعبر من هذه السيرة النبوية:

١. لقد تجلت رعاية الله جل وعلا لرسوله ولصحبه في غزوة الحديبية وصلحها وفي بيعة الرضوان حتى تحقق بفضل الله النصر المبين والفتح القريب.
٢. وقد حرص الرسول المربي e على إتباع خطوات المفاهمة وعدم التسرع للقتال بإرساله عثمان بن عفان للاتصال بأهل مكة عن سبب مجيئه.
٣. كما منَّ الله على رسوله وعلى المؤمنين بصدق الرؤيا التي تحقق بعدها دخول المسجد الحرام.

مع الوصايا التربوية المستفادة من هذا الهدي النبوي الشريف:

١. واجب المسلمين اجتماعهم على القيادة بصف واحد إظهاراً لقوتهم ووحدة كلمتهم.
٢. من الدروس الهامة للقيادة هي البدء بخطوات التفاهم السلمي وعدم التسرع للحرب.
٣. كما أن صدق المبايعة والإخلاص فيها سبب هذا الفتح المبين.

أسئلة الدرس:

١. ما فائدة الاتصال بالأعداء قبل خوض المعركة ؟
٢. ما الهدف من المبايعة ومعناها ؟
٣. لماذا رضي الله عن الذين يبايعون رسول الله e ؟

(١١٢) من سورة الفتح آية ١٨ .
(١١٣) من سورة الفتح آية ٢٧ .

المبحث الخامس والعشرون

الفتح القريب في غزوة خيبر

دعاء الرسول e قبل دخول خيبر: قال ابن إسحاق عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي: (أن رسول الله e لما أشرق على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: اللهم ربَّ السماوات وما أظللن، وربَّ الارضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أَذْرَيْن، فإنا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرِّها وشرّ أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله، قال: وكان يقولها u لكل قرية دخلها، وكان رسول الله e قد سمع عامر بن الأكوع يرتجز برسول الله e عند مسيره إلى خيبر بقوله:

والله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلَّينا
إنا إذا قومٌ بغَوْا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا
فأَنزلنْ سكينةً علينا وثَبِّت الأقدام إن لاقينا

فقال لـــه رسول الله e: يرحمك الله، فقال عمر بن الخطاب t: وجبت والله يا رسول الله لو أمتعنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً)[١١٤].

افتتاح حصون خيبر بعد بعث عدد من الصحابة برايتهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله e قد أقبل بجيشه حتى نزل بوادي الرجيع وقد سمعت عطفان بمنزل رسول الله e من خيبر جمعوا له ليعاونوا اليهود عليه، ولما سمعوا حساً في أموالهم وأهليهم ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم وخلوا بين رسول الله e وبين خيبر، وبدأ رسول الله e يفتح حصون خيبر حصناً حصناً ويأخذ أموالهم مالاً مالاً بعد أن حاصرهم رسول الله e بضع عشر ليلة، وكان رسول الله قد بعث أبا بكر الصديق t برايته البيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يك فَتْح وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب t فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد، فقال رسول الله e: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسولَه يفتح الله على يديه ليس بفرَّارٍ،

(١١٤) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام القسم الثاني ص ٣٢٨ ــ ٣٢٩ .

فدعا رسول الله e علياً رضوان الله عليه وهو أرمد، فتفل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك، وقد ذكر أبو رافع مولى رسول الله e أنه خرج مع عليّ بن أبي طالب t حين بعثه رسول الله e برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتَلهم، وضربه شخص من يهود، فطاح تُرسهُ من يده، فتناول علي t باباً كان عند الحصن فترَّسَّ به نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي وأنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه، وقد حاصر رسول الله e أهل خيبر في بعض حصونهم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يُخليهم ويحقن لهم دماءهم ثم سألوه أن يعاملهم في الأموال على النصف فصالحهم على ذلك) (١١٥).

! ! ! !

إلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: تقع مدينة خيبر ذات الحصون المنيعة والمزارع الكثيفة شمال المدينة المنورة، وكانت وكراً لتجمعات اليهود ومصدراً للدسائس وإثارة الحروب ضد المسلمين بحيث أصبحت تشكل خطراً على المسلمين في المدينة ومصدر قلق لهم بعد أن تم الصلح مع قريش وأمن المسلمون جانبهم، وقد عزم الرسول القائد e على التخلص من مشكلة الحصون اليهودية المحيطة بالمدينة، وليسود الهدوء والأمن حتى يتفرغ المسلمون للدعوة إلى الله وتبليغ رسالته السامية.

ثانياً: لقد كان السلاح الأقوى في مواجهة تلك الحصون المنيعة وللتخلص من سكانها اليهود الماكرين هو ما دعا إليه الرسول القائد e ربه خالق الأكوان يسأله فيها خير هذه القرية وخير ما فيها بعد أن عزم على فتحها ويستعيذ من شرها وشر ما فيها كما أبدى إعجابه بالأرجوزة الشعرية التي كان يرتجلها الصحابي عامر بن الأكوع عند السير إلى خيبر ودعا له بالرحمة فمات شهيداً.

ثالثاً: وكانت رعاية الله جل وعلا ترافق فتح خيبر حيث بدأ الرسول القائد e بفتحها حصناً بعد حصن وبعث من أجل ذلك أعظم قواده حتى تحقق الفتح على يد أحد الأبطال المسلمين

(١١٥) من السيرة النبوية: القسم الثاني ص ٣٣٠ – ٣٣٧ .

علي بن أبي طالب t الذي اختاره لتحقيق النصر وبشر بذلك مسبقاً، وقد بذل علي بن أبي طالب كل جهده في تحمل الشدائد والمصاعب وهو يصارع الأعداء وأعانه الله القدير جل وعلا على حمل الباب الثقيل ليتترس به ضد أعدائه حتى تحقق للمسلمين النصر واستسلم اليهود في حصونهم وتمت مصالحتهم بعد أن حاصر الرسول القائد e تلك الحصون المنيعة.

ومع المواعظ والعبر من هذه السيرة النبوية:

١. لقد كان فتح خيبر أعظم الإنجازات العسكرية للتخلص من اليهود المتآمرين على الإسلام والمسلمين وذلك بفضل رعاية الله جل وعلا لرسوله القائد e في جميع توجهاته.
٢. وكان أعظم سلاح فعال حمله رسول الله القائد e في مواجهة الحصون اليهودية المنيعة هو دعاؤه e لرب السموات والأرض المتصرف في مخلوقاته كيف يشاء والله على كل شئ قدير.
٣. كما تجلى عون الله جل وعلا للقائد علي بن أبي طالب t في قدراته الجبارة في مصارعة الأعداء والتترس بأثقل باب يعجز الكثيرون عن حمله.

ومع الوصايا التربوية المستفادة من هذا الهدي النبوي الشريف:

١. واجب المسلمين الاستعانة بالله جل وعلا وحده في كل مواجهة وموقف.
٢. الاعتماد على الله وحده في تحقيق النصر.
٣. عدم التخوف من الأعداء وعدم إظهار الضعف أمامهم.

أسئلة الدرس:

١. على يد من تم فتح خيبر ؟
٢. ما هو السلاح الفعال في مواجهة الأعداء ؟
٣. كيف تمكن علي بن أبي طالب أن يـــحمل الباب الحديدي الثقيل ؟

المبحث السادس والعشرون

ذكر غزوة مؤتة وما لاقاه المسلمون فيها من الحرب الشديدة مع أعدائهم

بعثة الرسول e إلى مؤتة في بلاد الشام واختياره الأمراء لهذه الغزوة: قال ابن إسحاق: عن عروة بن الزبير قال: (بعث رسول الله e بعثةً إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أُصيب زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس. فتجهز الناس ثم تهيؤوا للخروج وهم ثلاثة آلاف. فلما حضر خروجُهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله e وسلَّموا عليهم، ثم مضَوا حتى نزلوا بمكان من أرض الشام، فبلغ الناسُ أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم ففكروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله e فنخبره بِعدد عدوِّنا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي لـــه. قال: فشجَّع الناسَ عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون كلَّتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فَانطلِقوا فإنَّما هي إحدى الحسنيين إما ظهورٌ وإما شهادة، فقال الناس: صدق والله ابنُ رواحة؛ فمضى الناس حتى لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله e حتى قُتل ثم أخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قُتل ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل، ولما أصيب القوم قال رسول الله e فيما بلغني: (أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ثم قال: لقد رُفعوا إليَّ في الجنة، فيما يرى النائم، على سرر من ذهب) [١١٦].

رجوع جيش المسلمين وتلقي الرسول e له ومشاعر الغضب من المسلمين: قال ابن إسحاق: (ولما دنوا من حول المدينة، تلقاهم رسولُ الله e والمسلمون ورسول الله e مقبلٌ على القوم على دابة، وجعل الناس يَحثُّون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرَّار، فررتم في سبيل الله !

(١١٦) من كتاب السيرة النبوية القسم الثاني ص ٣٧٣ ــ ٣٨٠.

قال: فيقول رسول الله e: ليسوا بالفُرار، ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى. وقد ذكر الزهري: أن المسلمين أمَّروا عليهم خالد بن الوليد t ، ففتح الله عليهم، وكان أميرهم حتى قفل إلى النبي e) (١١٧).

! ! ! !

إلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: قرية مؤتة في بلاد الشام تسمى الآن بالكرك، وسبب هذه الغزوة أن رسول الله e أرسل الحارث بن عمير الأزدي إلى أمير بصرى الغساني يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما وصل مؤتة أوقفه أحد أمراء العرب الغساسنة وضربوا عنقه، فبلغ ذلك رسول الله e فاشتد عليه الأمر وجهز جيشاً من المسلمين وأمر عليهم زيد بن حارثة، وجاءت وصية الرسول القائد e للجيش بتحديد الأمراء الذين يتعاقبون على قيادة الجيش بعد مقتل أحدهم من رعاية الله جل وعلا لرسوله القائد e وللمقاتلين المسلمين حتى لا يقع بينهم الخلاف على اختيار القائد وهم في المعركة. وحصل ما أخبر عنه الرسول الموحى إليه من ربه سبحانه، (فقد لقي رسول الله e زيداً وجعفراً وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب، ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم) (١١٨).

ثانياً: وما أعظم موقف الصحابي الشجاع عبد الله بن رواحة t في موقفه الصريح ودعوته إلى الجهاد طلباً للشهادة في سبيل الله وإعلانه توكله على الله واعتماده عليه في الدفاع عن دين الله وتحقيق النصر دون اعتماد على قوة في السلاح ولا كثرة في العدد. وخاض المسلمون غمار المعركة بكل بسالة وإقدام وتحقق ما سبق أن قاله رسول الله e الذي لا ينطق عن الهوى في مقتل الأمراء واحداً تلو الآخر.

ثالثاً: وفي عودة جيش المسلمين بعد انتهاء المعركة تلقاهم رسول الله e والمسلمون، وقد

(١١٧) نفس المصدر السابق ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(١١٨) أخرجه البخاري في باب غزوة مؤتة من أرض الشام ج ٣ ص ٥٨ .

جعل البعض من المسلمين يستخفون بالجيش لتراجعه دون نصر ويحثون عليه التراب استخفافاً بفرارهم، ولكن الرسول القائد e نفى عن الجيش صفة الهزيمة والفرار وأكد أنهم كانوا من المتقدمين الكرار في الحرب، وكان في نهاية المطاف أن تحقق النصر للمسلمين على أعدائهم بقيادة أميرهم القائد خالد بن الوليد t.

ومع المواعظ والعبر من هذه السيرة النبوية:

١. كان من أعظم مهمات القيادة في هذه المعركة هو تحديد القيادات المتعاقبة لبعد المسافة وتوقع مقتل القادة لشدة بأس الأعداء وكثرة أعدادهم ممَّا حقق لمسيرة الجهاد استقراراً وسلامةً ونصراً.

٢. ويقدم الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة أنموذجاً رائعاً لموقف المجاهد البطل في اعتماده على الله في النصر وإخلاص النية لله تعالى وحده.

٣. يهذب الرسول المربي e سلوك المسلمين في مواقفهم خاصة عند العودة من الجهاد بدون إنجاز فيعلمهم قول الترحيب والتكريم بدل الاستخفاف والاستهزاء بعد أن أدوا واجب الجهاد حسب قدراتهم.

ومع الوصايا التربوية من معاني هذه الأحاديث النبوية:

١. واجب القيادة في يقظتها أمام جميع التوقعات.

٢. واجب المجاهد في إخلاص النية والعزم على المشاركة الفاعلة.

٣. عدم الاستخفاف بالمجاهدين بعد أن أدوا واجبهم وعادوا دون إنجاز أو نصر.

أسئلة الدرس:

١. كم كان عدد جيش المسلمين وجيش الروم في غزوة مؤتة؟

٢. ما هي المعجزة النبوية التي ظهرت في قصة هذه الغزوة؟

٣. كيف كان استقبال المسلمين للجيش العائد من مؤتة؟

المبحث السابع والعشرون

انتصار المؤمنين في فتح مكة المبين

أسباب فتح مكة: قال ابن إسحاق: (لما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزامة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله e من العهد والميثاق بما استملوا من خزاعة وكان في عقده وعهده، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي مع أحد من بني كعب حتى قدم على رسول الله e المدينة، وكان ذلك ممَّا هاج في فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس بين ظهراني الناس فقال:

يا رب إني ناشد محمداً حِلَف أبنا وأبيه الأتلدا
هم بيوتنا بالوتير هجداً وقلوبنا ركعاً سجداً

فقال رسول الله e: نصرت يا عمرو بن سالم، ثم عرض لرسول الله e سحاب من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب، وقد قال رسول الله e: كأنكم بأبي سفيان وقد جاءكم ليشد التعاقد ويزيد في المدة قد بعثته قريش بعد أن رجوا الذي صنعوا، فلما قدم أبو سفيان على رسول الله e فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبي بكر ثم إلى عمر بن الخطاب فكلمهما فردا طلبه ثم دخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله e ورضي عنها فقال لعلي: انك امرأ لقوم بي رحماً وإني جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائباً فاشفع لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله e على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ثم كلم فاطمة فردت طلبه، ثم مضى رسول الله e لسفره لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله e وصام الناس معه) [(١١٩)].

دخول مكة بالفتح المبين: قال ابن إسحاق: (لما انتهى رسول الله e إلى ذي طوى وقف على راحلته متعجراً بشفة بردٍ حَبرة[(١٢٠)] حمراء، وأن رسول الله e ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، ثم عهد إلى امرائه حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فلما نزل مكة خرج رسول الله e حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فدخلها، ثم وقف على باب الكعبة وقد اجتمع الناس في المسجد فقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له صَدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده،

(١١٩) من السيرة النبوية لابن هشام القسم الثاني ص ٣٩٤ – ٣٩٦ .

(١٢٠) متعجراً بشفة بردٍ حَبرة: أي تعمم بنصف قطعة من ثياب اليمن .

الأكل مأثرة أودم أو مال يُدَّعي فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، إلا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مئةٌ من الإبل، يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ] ثم قال: (يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء ثم رد مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة وقال له: اليوم يوم بر ووفاء) (١٢١).

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد كان فتح مكة نصراً إلهياً عظيماً وتكريماً لمسيرة الدعوة الهادية التي يقودها الرسول الأمين e وصحبه المجاهدين حيث دخل جيش المسلمين مكة بكل عزة ويسر ودون قتال أو مواجهة، بعد أن نكثت قريش العهد مع المسلمين في اعتدائهم على حلفائهم من بني خزاعة الذين جاءوا إلى رسول الله e يناشدونه المناصرة لمحاربة من حاربهم من قريش وحلفائها من بني بكر، حيث أجابهم الرسول الكريم e في استعداده لمقاتلة قريش ودخوله مكة. وقد فشلت محاولة قريش بإقناع الرسول e عن الرجوع عن مقاتلة قريش من خلال تكليفها لأبي سفيان كمبعوث لها الذي نشط بكل جهد ومواصلات مع المقربين من رسول الله e .

ثانياً: لقد كشف فتح مكة الأهداف السامية والمعاني الخفية لصلح الحديبية، ودهش بعض الصحابة منه لرغبتهم في القتال لدخول مكة في ذلك العام، حيث تحولت مسيرة الإسلام بعد هذا الفتح المبين من السرية والتعثر والأذى إلى نصر مؤزر برعاية إلهية واضحة وهزيمة ساحقة لأعدائها المشركين الطغاة، ودعوة علنية جريئة لعقيدة التوحيد التي صعد بها المولى بلال الحبشي الذي تعرض كثيراً للأذى ليصعد على ظهر الكعبة بتكليف القائد المنتصر رسول الله e ليقول أمام جماهير قريش المشركة التي تخاف على نفسها من القتل والهلاك: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حتى بدأ انتشار الإسلام على نطاق واسع وبإقبال طوعي كبير؛ كما استنكر رسول الله e مقالة سعد بن عبادة لأبي سفيان اليوم يوم الملحمة فقال عليه الصلاة والسلام: بل اليوم يوم رحمة يعز الله قريشاً ويعظم الله الكعبة.

(١٢١) من السيرة النبوية لابن هشام القسم الثاني ص ٤٠٥ – ٤١٢ .

ثالثاً: قدمت وقائع فتح مكة مواقف إنسانية كريمة وإظهاراً لروح السماحة والصفح عن مشركي قريش الذين تمادوا في عدوانهم على المسلمين ومحاربتهم بشدة وأذى، فقد دخل الرسول القائد e وهو يطأ طيع رأسه خشوعاً لله تعالى، وشكراً له على رعايته وفضله ثم سؤاله لمشركي قريش ما ترون أني فاعل بكم، قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال لهم رسول الرحمة: اذهبوا فأنتم الطلقاء؛ كما رد مفتاح الكعبة للمسؤول عنه قائلاً له: هذا اليوم يوم بر ووفاء. خلافاً لما يظهره المحتلون من غير المسلمين من الطغيان والدمار وقهر الشعوب وقتل المحاربين منهم.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. الاعتقاد الراسخ بأن النصر من عند الله وحده ولي المؤمنين U.
٢. متابعة بذل الجهود في مسيرة الدعوة مهما كانت الظروف حتى يأتي نصر الله.
٣. وجوب التعامل مع الآخرين بدوافع التواضع والصفح وروح السماحة لأنها تفتح الطريق للهداية والدخول في الإسلام.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. السعي الحثيث لدراسة السيرة النبوية والتعرف على وقائع فتح مكة وغيرها وتعليمها للمسلمين وغيرهم.
٢. مناصرة الحلفاء والدفاع عنهم يوم الشدة والوفاء بالعهود.
٣. الشعور بالمساواة بين المسلمين دون تمييز عنصري بسبب الجنس أو اللون أو المال.

أسئلة الدرس:

١. ما هو سبب العزم على فتح مكة ؟
٢. ماذا يعني أذان بلال على سطح الكعبة ؟
٣. لماذا أعاد الرسول e مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة وهو من المشركين ؟

المبحث الثامن والعشرون

غزوة حنين وبطولة القائد في أصعب المواقف

قيادة المعركة بكل شجاعة وثبات: عن العباس بن عبد المطلب قال: (شهدتُ مع رسول الله e يوم حُنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله e فلم نفارقه، ورسول الله e على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله e يركض بغلته قِبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلةِ رسول الله e أَلَفُّها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله e، فقال الرسول: أيْ عباسُ ناد أصحاب السَّمُرة[١٢٢]، فقال عباس ـ وكان رجلاً صَيِّتاً ـ فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمُرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عَطفة البقر على أولادها فقالوا: يالبيك يالبيك، فقال: فاقتتلوا والكفارَ، والدعوةُ في الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رَسُول اللَّهِ e وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال: هذا حين حمي الوطيس[١٢٣] ثم أخذ رَسُول اللَّهِ e حصيات فرمي بهن وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب محمد، فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً[١٢٤] وأمرهم مدبراً)[١٢٥].

سبب الهزيمة يوم حُنين: عن أبي إسحاق قال: (سمعت البراء وسأله رجل من قَيس أفررتم عن رسول الله e يوم حنين! فقال البراء: ولكن رسول الله e لم يَفِرَّ، وكانت هوازن يومئذ رماةٌ. وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله e على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[١٢٦]

---

(١٢٢) أصحاب السمرة: وهي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(١٢٣) حمي الوطيس: الوطيس التنور يُراد شدة الحرب.

(١٢٤) حدهم كليلاً: قوتهم ضعيفة.

(١٢٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ج ١٢ ص ١١٥ – ١١٦.

(١٢٦) نفس المصدر السابق ج ١٢ ص ١٢١.

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: سبب هذه الغزوة أن زعماء هوزان وثقيف خافوا على أنفسهم بعد أن تم للمسلمين فتح مكة فعزموا على مبادرة المسلمين بالقتال فساقوا أموالهم ونساءهم وأبناءهم استعداداً لخوض هذه المعركة المصيرية بكل قدراتهم، فحينئذ أعلن رسول الله e عزمه على قتالهم، وسار حتى بلغ وادي حنين خرجت على المسلمين هوزان وحلفاؤها فتغلب عليهم المسلمون وهزموهم، غير أن المسلمين راحوا يجمعون الغنائم ففاجأهم المشركون بسهامهم فتفرق جمع المسلمين، ولكن الرسول القائد e بقي متجهاً بدابته مسرعاً نحو الكفار بكل إقدام وشجاعة وثبات حتى كان العباس t مسك بلجام بغلة رسول الله e ليخفف من سرعتها ورسول الله e ينادي في المسلمين: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) وخص بمناداته أصحاب الشجرة الذين بايعوا يوم الحديبية على القتال معه.

ثانياً: وفي هذه اللحظة الحاسمة والمواقف الصعبة أخذ رسول الله e وهو صاحب المعجزات بحصياته فرمى بها في وجوه الكفار فانهزموا بعون الله تعالى وتكريمه لرسوله الأمين والمؤمنين نعه، وتبعهم المسلمون بالقتل والأسر وحصل فيها المسلمون على النصر المبين والغنائم الكبيرة، وقد امتن العزيز العليم جل وعلا على المؤمنين بهذا النصر العظيم في قوله تبارك وتعالى: [لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾](١٢٧).

ثالثاً: لا يتحقق النصر المبين للمسلمين المجاهدين في أية معركة خاضوها إلا بإخلاصهم الصادق لله تعالى وتوجههم أليه وحده بالنصر دفاعاً عن دينه ضد الأعداء، وحين تشوب نفوس المجاهدين ونواياهم شيئاً من ضعف الإخلاص لله تعالى عند انشغالهم بمطامع الدنيا وتتجه قلوبهم لمكاسبها الزائفة فإن مصيرهم الهوان والهزيمة كما حدث في هذه المعركة المباركة.

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. ومن أعظم العبر والمنافع من غزوة حنين أن المسلمين المجاهدين يتوجب عليهم في كل معركة وموقف أن يتوجهوا دائماً إلى ربهم العزيز الحكيم جل وعلا وتتعلق قلوبهم بربهم في تحقيق

(١٢٧) سورة التوبة آية ٢٥ – ٢٦.

الفرج والنصر مع الإكثار من الدعاء والاستغاثة في مثل هذه المواقف الحرجة معتقدين أن النصر لا يكون لهم إلا من عند ربهم تبارك وتعالى.

٢. إن الانشغال عن خوض المعركة بمكاسب زائفة غَيّر وجه هذه المعركة من قوة إلى ضعف ويسوق إلى الهزيمة والفشل.

٣. لقد جاءت صرخة الرسول القائد e في جموع المجاهدين دافعاً قوياً لمتابعة الجهاد والثقة بنصر الله جل وعلا.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. يجب أن يسبق كل عمل يتوجهون به في خدمة الإسلام والمسلين إخلاص النية إلى ربهم بعيداً عن الأغراض الشخصية والمطامع المادية.

٢. وليحذروا من خطر التشاغل في مطامع مادية أو مكاسب معنوية لأنها تحبط صالح الأعمال.

٣. يجب أن يبقى قلب المسلم متعلقاً بربه يرجو رحمته ويخشى عذابه في كل الظروف والأحوال.

أسئلة الدرس:

١ـ ما هو سبب الهزيمة في معركة حنين؟

٢ـ ما الذي أعاد للمجاهدين ثقتهم بربهم وثباتهم على القتال؟

٣ـ هل يمكن أن يتحقق النصر للمسلمين دون عون من ربهم جل وعلا؟

المبحث التاسع والعشرون

غزوة العسرة في تبوك

التهيؤ لغزوة تبوك: عن ابن إسحاق: (أن الرسول e أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه؛ وكان رسول الله e قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم. ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله e وهم سبعة نفر من الأنصار وكانوا أهل حاجة، فطلبوا منه ما يحملهم عليه، فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون. وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله e، حتى تخلفوا عنه عن غير شكٍ ولا ارتياب، وكانوا نفر صدق، لا يتهمون في إسلامهم)[١٢٨].

تخلف المنافقين عن رسول الله e وهو منطلق إلى تبوك: قال ابن إسحاق: (قد كان رهط من المنافقين يشيرون إلى رسول الله e وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً! والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال، إرجافا وترهيبا للمؤمنين، ولما انتهى رسول الله e إلى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالح رسول الله e وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله e لهم كتابا فهو عندهم بأنهم في أمان الله وأمان محمد النبي رسول الله وفي ذمة الله، وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر. وقد أقام رسول الله e بتبوك بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً إلى المدينة)[١٢٩].

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد كانت الدعوة للمشاركة في غزوة تبوك محنة قاسية وفتنة حرجة بسب حرارة الجو وجدب الزرع، والاستعداد لموسم الحصاد، أثبت فيها المؤمنون صدقهم وإخلاصهم في استجابتهم لهذه الدعوة

(١٢٨) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام ـ القسم الثاني ص ٥١٦.

(١٢٩) نفس المصدر السابق ص ٥٢٥.

غير مكترثين بالظروف الصعبة وأظهروا رغبتهم واستجابتهم للمعاناة والتعب ما دامت في سبيل مرضاة الله جل وعلا فبذلوا في سبيل ذلك أنفسهم وأموالهم. وما أعظم الصورة الإيمانية التي عبر فيها بعض الضعفاء الذين لا يملكون ما يحملهم عليه ولم يسعفهم رسول الله e بتلبية طلبهم في تأمين الراحلة التي تحملهم لأرض المعركة راحوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً وألماً على حرمانهم من المشاركة في اغتنام الأجر واكتساب مرضاة المولى تبارك وتعالى.

ثانياً: لقد أظهرت الاستجابة للدعوة لهذه المعركة المؤمنين الصادقين وفريق المنافقين، وانكشف فيها المخلصون من الأدعياء، فكانت فتنة عظيمة ومحنةً قاسية، وقد أشار القرآن الكريم لهذه المحنة في قوله تبارك وتعالى: [الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝][130] وبذلك يتجلى أثر الإيمان في صنع الرغبة في طلب الشهادة في سبيل الله ولو كان الطريق محفوفاً بالمخاطر والمهالك.

ثالثاً: وكم تتحول المحنة إلى منحة، فقد كان انسحاب المنافقين والمخادعين من المشاركة في هذه الغزوة وإبعاد أنفسهم عنها طريقاً إلى النصر ومنع إيقاف أعمال الخديعة والخيانة التي كثيراً ما يرتكبها أولئك المنافقون وتقع بها الخسارة في صفوف المؤمنين، وإن وحدة الصف وقوة الإيمان في صفوف الجيش المسلم هي التي تحقق النصر ولو كان العدد قليلاً كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله جل وعلا: [كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ][131].

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. لقد أعلن الرسول القائد بكل صراحة الجهة التي يقصدها حتى يكون الجنود المقاتلون على بينة من أمرهم وليكونوا على استعداد للمشاركة استعداداً جيداً وبكل حرية وبدون إكراه، وهو ما يطلب من كل قائد مظفر.

٢. إن طبيعة الإيمان تدعو المؤمنين للتعرض للشهادة في سبيل الله واكتساب الأجر والمثوبة من أي جهاد يقومون به دون خوف من الأخطار.

(١٣٠) سورة العنكبوت آية ١ – ٣.

(١٣١) سورة البقرة آية ٢٤٩.

٣. يسعى المنافقون في كل زمان ومكان إلى إحباط مسعى المؤمنين وإرهابهم وإحباط عزيمتهم ولكن المؤمنين لا يلقون لها بالاً، وهكذا دخل رسول الله e تبوك فاتحاً وصالح أهلها وكتب لهم كتاب أمان.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب التعامل مع الآخرين بالصراحة والصدق دون تستر ولا إخفاء.

٢. وجوب التزام المسلم في أعماله الجهادية بطلب الشهادة في سبيل الله بعيداً عن أية أغراض مادية أو دنيوية.

٣. اليقظة الواعية لأقوال المنافقين المحبطة وعدم تصديقها عن غفلة أو جهالة.

أسئلة الدرس:

١ـ لماذا أوضح الرسول القائد e للمؤمنين الجهة التي يقصدها للجهاد في سبيل الله؟

٢ـ هل يجوز للمسلم أن يجمع نية الإخلاص في العمل إلى نوايا مادية أخرى؟

٣ـ لماذا لا تصدق أقوالَ المنافقين؟

المبحث الثلاثون

تكليف أبي بكر الصديق t بالإمامة

مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس: قال ابن إسحاق عن الزهري أن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما استعز[١٣٢] برسول الله e قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: قلت: يا نبي الله إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال: مروه فليصل بالناس. قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذاك عن أبي بكر، وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر) [١٣٣].

إقتداء الرسول e بأبي بكر في الصلاة قاعداً عن يمينه: قال ابن إسحاق: (لما كان يوم الاثنين، خرج رسول الله e عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما خرج رسول الله e تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله e، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله e في ظهره، وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله e إلى جنبه، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة، أقبل على الناس، فكلمهم رافعا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: أيها الناس سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن. فلما فرغ رسول الله e من كلامه، قال له أبو بكر: يا نبيَّ الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، ثم دخل رسول الله e وخرج أبو بكر إلى أهله) [١٣٤].

---

(١٣٢) اشتد عليه المرض.

(١٣٣) السيرة النبوية لابن هشام ـ القسم الثاني ص ٦٥٢.

(١٣٤) نفس المصدر السابق ص ٦٥٣.

وإلى التدبر في هذا الهدي النبوي الشريف:

أولاً: لقد عمد رسول الله e حين اشتد به المرض إلى تكليف أبي بكر الصديق t للصلاة مع الجماعة، وقد أصر الرسول الأمين e على أن يكون الإمام الذي يصلي بالناس أبا بكر الصديق t لمكانته العظيمة لديه وصحبته الخالصة له رغم اعتراض السيدة عائشة رضي الله عنها على هذا الاستخلاف خوفاً من تشاؤم الناس به مستقبلاً عند غياب النبي المحبوب e عن الصلاة معهم في المسجد لظروف قاسية عليهم لمرض أو موت.

ثانياً: وقد كانت الصحابة الأكارم يشتد هلعهم خشية أن يكون أجل رسول الله e قد اقترب، ولهذا جاء خبر وفاة الرسول e على قلوب المؤمنين شديد الأثر في نفوسهم واضطرب الصحابة لهول هذه الكارثة عندما أشيع خبر وفاته e حتى زاغت العقول وقعد المسلمون عن الحركة وانطلق عمر بن الخطاب t بسيفه يهدد كل من يقول أن الرسول e قد مات زاعماً أنه غائب وسيرجع فيما بعد. وأظهر أبو بكر الصديق t رباطة الجأش حين دخل على الرسول e وهو على فراش الموت فقبله وقال له: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً، يا رسول الله اذكرنا عند ربك. ثم خرج أبو بكر للناس ليخطب فيهم بكل رباطة جأش وعزيمة يقول لهم: أيها الناس من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ثم تلا قوله جل وعلا: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ](١٣٥).

وقال عمر بن الخطاب t بعد سماع خطبة أبي بكر t: فوالله ما هو إلا أن سمعت أن أبا بكر تلاها فدهشت حتى وقعت على الأرض وما تحملني رجلاي حين عرفت أن رسول الله e قد مات)(١٣٦).

(١٣٥) سورة آل عمران آية ١٤٤.

(١٣٦) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٩٥.

ثالثاً: ولقد اهتم الرسول المربي ذو الخلق العظيم e بالتخفيف عن أهل بيته من مصيبة الموت ووقعها المؤلم على النفوس، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها (أن النبي e دعا فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك فقالت: سارّني النبي e أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت)[١٣٧].

ومع المواعظ والعبر من وقائع هذه السيرة النبوية العطرة:

١. لقد تجلى وفاء النبي e للصديق المحبوب أبي بكر t في اختياره للإمامة بدلاً عنه عند غيابه لأنه أقرب الناس إليه وأعرفهم به.

٢. الموت حق [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا][١٣٨] وهو ما كان يجيش في قلوب الصحابة عند سماعهم لموت رسولهم المحبوب فيخفف عنهم وقعه المؤلم.

٣. وجوب حرص الولي على التخفيف من آلم أهله عند فقده وإعلامهم أن الموت لا بد منه، ولا تموت نفس إلا في أجلها المحدد.

ومع الوصايا التربوية للدعاة والعلماء والناشئة:

١. وجوب تحلي المؤمن بالوفاء بإعطاء كل ذي حق حقه ومراعاة مكانته واستحقاقه.

٢. تذكير المؤمن لأقاربه وأصحابه بواقعة الموت التي يحدد أجلها رب العالمين.

٣. وجوب الصبر والاحتساب عند وقوع مصيبة الموت بحبيب من الأهل أو الأصدقاء.

أسئلة الدرس:

١- من الذي كلف أبا بكر في حال غياب الرسول e ؟

٢- لماذا تم اختيار أبي بكر t دون غيره؟

٣- ما هو موقف عمر بن الخطاب من خبر موت الرسول e ؟

(١٣٧) نفس المصدر السابق.

(١٣٨) سورة آل عمران آية ١٤٥.